طلعنا عالحريّة

نصف شهرية، سياسية، ثقافية، مستقلة

محادثات الأستانة

العدد 85 2017 / 2 / 1

مجلة مستقلة، تعنى بشؤون الثورة السورية، نصف شهرية، تطبع وتوزع داخل سوريا وفي عدد من مخيمات اللجوء والتجمعات السورية في الخارج

الأستانة..
محاولة الخروج بأقل الخسائر

افتتاحية طلعنا عالحرية

يبدو غريباً شبه انعدام اهتمام السوريين بمحادثات الأستانة، مقارنة باهتمامهم بشطحات ترامب على سبيل المثال، لكن هذه الغرابة تجد تفسيرها المباشر من خلال تغييب صوت السوريين المتعمّد في هذه المحادثات، ومن خلال الشعور العام المتزايد بانعدام سيطرتهم على مصيرهم ومصير بلادهم.

أول ما يلفت الانتباه في تركيبة الوفد المفاوض باسم الثورة السورية، هو غياب الثورة نفسها حيث لا دور للمدنيين، ولا دور للمؤسسات المدنية، وحيث العمود الفقري للوفد المفاوض ورأسه من العسكر.

لكن المفارقة تبدو منطقية بالنسبة للرعاة الروس، فهم يعلمون كما يعلم الجميع، أن الفصائل العسكرية الثورية هي في الواقع أضعف ما عند الثورة! وأنها تواجه النظام بنفس ممارساته؛ صحيح أن حجم هذه الممارسات وفاعليتها لا يقارنان مع حجم إجرام النظام وحلفائه.. لكن لنتذكر أن الوفد يظن أنه يتكلم باسم ثورة السوريين من أجل الحرية والكرامة باسم ثورة الكرامة! مما يجعل القياس بالكرامة بحد ذاته مسيئاً.

قد تطالب الفصائل العسكرية النظام بإطلاق سراح المعتقلين وهم بمئات الآلاف، وبتفكيك أجهزته الأمنية وهي النواة الصلبة لوجوده، بينما تمتلئ سجون للفصائل -مع الفارق الواضح بالحجم والقدرات- بمعتقلين ومخطوفين سوريين أيضاً. كما أنها أصبحت تمتلك أسباباً تمسّ أصل وجودها للتمسّك بمكاتبها الأمنية التي لا تختلف بالممارسة والوظيفة والجوهر القمعي عن الفروع الأمنية للنظام ذاته!

يتكلم وفد المعارضة عن معاناة السوريين في ريف حلب وإدلب وفي قرى درعا وبلدات الغوطة الشرقية.. يتكلم باسم تلك المناطق التي تسمّى "مناطق المعارضة"، ولا يتكلم عن معاناة السوريين في المناطق التي تسمّى "مناطق النظام"، أو عن معاناة حقيقية للسوريين في الرقة ودير الزور؛ "مناطق داعش"..! أو عن معاناة سكان دمشق مثلاً؛ حيث يوجد أكثر من نصف السوريين الباقين في سوريا اليوم! إنه منطق أمراء الحرب، منطق تمزيق سوريا والسوريين، ومنطق

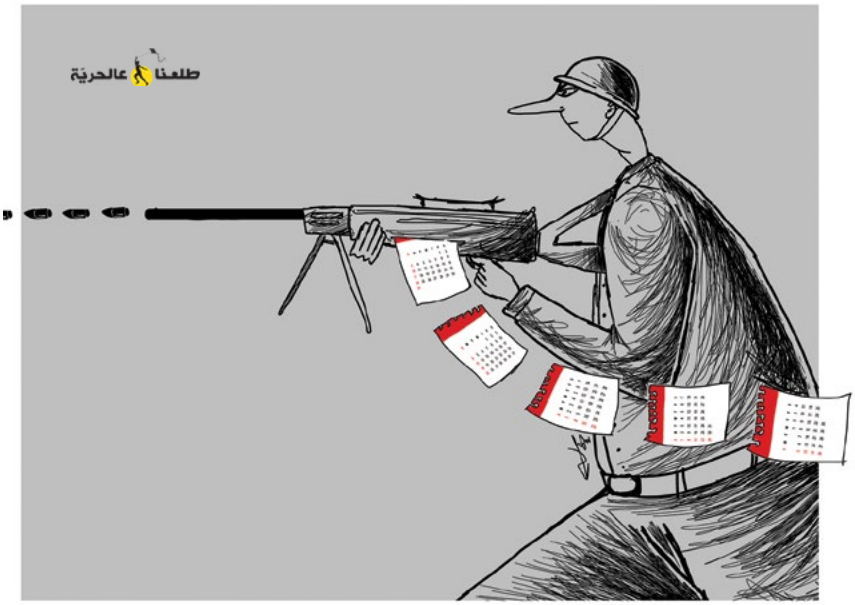

طلعنا عالحرية
مجلة نصف شهرية تعنى بشؤون الثورة
تطبع وتوزع داخل المدن والقرى السورية
وفي بعض مخيمات اللجوء

www.freedomraise.net
المقالات المنشورة تعبر عن آراء أصحابها أولاً ولا تعبر بالضرورة عن آراء هيئة التحرير
المجلة غير ملزمة بنشر كل ما يردها من مواد
رئيس التحرير ليلى الصفدي

تفاعل معنا عبر صفحاتنا على الإنترنت
facebook.com/freeraise
twitter.com/freedomraise
info@freedomraise.net

معاون رئيس التحرير: أسامة نصّار
قسم حقوق الإنسان: أنور البني
قسم المرأة: يارا بدر
المحرر الاقتصادي: وائل موسى
الغلاف: سمير خليلي
كاريكاتير: سمير خليلي
زملاء مختطفون في الغوطة الشرقية: رزان زيتونة - ناظم حمادي

الحياة بوجـوه مختلفة

عماد العبار

تتمة الإفتتاحية..

ارتهان السكان للقوى القامعة التي تجثم فوق صدورهم.

لكن.. ماذا كان على الوفد أن يفعل أو أن لا يفعل؟ لا شيء يسلمه من انتقادات محقّة وموضوعية أحياناً، وباطلة وذاتية في أغلب الأحيان. السوريون لا يعجبهم العجب! وأفضل نصيحة نتذكرها اليوم هي أن علينا أن نقلل من توقعاتنا حتى لا تكبر إحباطاتنا؛ لتصير نظرة قوية على وجوه الوفد وهو قبالة وفد النظام، إحدى الإنجازات التي نهلل لها.. وهزة بدن لوفد النظام بعد خطاب رنان من وفد الثوار أحد أهم مخرجات المؤتمر..

رغم كل شيء، لا مفر من القول إنه إذا كان هناك بصيص من أمل أمام هذه المحادثات في إمكانية إيقاف القتل والتدمير والتهجير، فهذا على كل حال إنجاز كبير وإن تأخر كل هذا التأخير، وربما بات علينا بعد كل تلك الخيبات والانكسارات والكوارث أن نقيس المكاسب بمحاولة الخروج بأقل الخسائر.

ومهما يبدو مضحكاً.. أو مؤلماً الحديث عن أقل الخسائر.. بعد كل هذه الأثمان التي دُفعت والتي لا يمكن استعادتها، لكن أن نخسر كثيراً يبقى أفضل من أن نخسر كل شيء، ومن دون أن يستعيد السوريون صوتهم ودورهم لا شيء بمقدوره أن يرمم خسائرهم الفادحة، أو أن يعدهم بمستقبل أقل فظاعة لأولادهم.

عجيب هو هذا العالم، غريب وموحشٌ، متوحّش إن أردت أن تراه بعين.. لكنه عقلانيٌّ ومثير إن أردت أن تراه بعين مغايرة..

التعايش مع مجريات أحداثه فنٌّ لا يتقنه معظم الناس. التعايش أمرٌ صعب، ليس لأنّه يتطلّب الكثير من الذكاء؛ بل على العكس تماماً، لأنّه قد يتطلب منك قدراً لا يحتمل من تبلّد المشاعر.. قدراً لا يُحتمل على الإطلاق!

مثيرة للاهتمام صورة العالم، وهو يمشي بسيرورة التطوّر دون أيّ مبالاة. تاريخٌ صلبٌ من الإنجازات والابتكارات والفلسفات. لا يكترث للآلام التي تحدث.

الموت ليس عقبة في طريق هذا التاريخ، لم يكن كذلك قط.. العكس ربما هو الصحيح، الحياة هي التي كانت عقبة في طريق التطوّر في كثير من الأحيان! أقصد هنا حياة كثير من البسطاء، الذين باتوا عبئاً ثقيلاً على الإنتاج والفاعلية، وهم يرزحون تحت ركام الذلّ والفقر والتهميش؛ حيث بات العالم ينظر إليهم كزائدة دوديّة.. مهما حاولنا تجميل الصورة أو تجاهلها، هي كذلك تماماً، هؤلاء عالة على البشرية في نظر الأقوياء والملحقين أو المتشبّهين بهم.. وهؤلاء المتشبّهون صاروا عنصريّين بأقنعة شتّى: سياسيّون، أو رجالات دين، أو أقلام فكر، أو تنمية بشرية..

أقلامٌ احترفت ارتكاب الجريمة مع فنجان قهوة، في صبيحة كلّ يوم، وقبل أن تنطلق إلى أشغالها، تمارس تقريع المكلومين كلّ يوم، بدون كلل أو ملل، وطبعاً بدون وجدان..

ما أسهل أن تلقي باللائمة على الضعفاء، فهؤلاء لن يصلهم كلامك، ولن ينتبه غالبيتهم لوجودك أصلاً، فلديهم من الموت والجوع والفقر ما يشغلهم عنك.

ما أسهل أن تعقد الندوات التي تتحدّث عن كسل شعوب، عن قابليتها للاستضعاف، عن ضعف إنتاجيتها، أو حتى عن حبّها لثقافة الموت، عن مورثات الكسل، والزهد والعجز، أو القتل، المستحكمة في ثقافتها.. ندوات كهذه تحتكر مسبقاً أوصاف التنوير، والتطوير والتجديد، وأصحابها يضعون أنفسهم فوق النقد..

ما أسهل مواجهة الضعيف، الغائب عن مجريات الأحداث، وتحميله كامل المسؤولية، وما أصعب مواجهة المجرمين الكبار!

يخيّل إليّ أحياناً بأنّ الحياة أسهل من أن نعقّدها بهذا الشكل.. لماذا لا نفكّر كما يفكّر الملحقون بالأقوياء؟ لماذا لا نسلك الطريق الأكثر راحة والأقل تكلفة، والذي قد يمنحنا الكثير من مشاعر الفوقية؟ لماذا لا نرى الوجه الآخر والجميل للحياة؟

فالضعفاء يموتون لأنّهم يستحقّون الموت، هذا ما ستقرؤه بين سطور الكثيرين تلميحاً أو تصريحاً؛ فالضعيف يعاني من قابلية الاستضعاف، العلّة هنا محض ذاتية، وهو بضعفه هذا المسؤول الأول عن استدراج غرائز القتل عند الأقوى..

لا شيء يدعو إلى القلق كثيراً، فالقتل سينتهي تلقائياً حين يتوقّف الضعيف عن استدراج القاتل، حين يتوقف عن كونه قابلاً للاستضعاف والاستباحة؛ أي حين يتخلص من قابليّته لأن يكون مقتولاً. عليه أن يتخلّص إذاً من عشقه لأن يكون مقتولاً، أو فقيراً، أو واقعاً تحت الاستبداد أو الاحتلال..

ما أسهل ذلك التفسير البارد للأحداث.. يقولون إنّ هذا هو صوت العقل المجرّد، لكنّ التفسير البارد في حقيقة الأمر لا يمت إلى العقل بصلة، هذا ما يحاولون دائماً إيهامنا به، لكنه لم يكن صحيحاً قط. العقل ليس بارداً، ولم يكن بارداً قط. التفسير البارد هو تفسير القوي، أو تفسير كل الملحقين به، أي هي وجهة نظر الجاني في جميع الأحوال.. ولا يمكن للجاني أن يتعاطف مع الضحية أبداً، ولا يمكنك التنكّر للضحية إلا في حالة وحيدة: أن تكون في صفّ القوي الجاني.. هذه هي القضية باختصار شديد..

التاريخ هو حصيلة مجموعة من التحولات والقضايا المتداخلة. لم يكن ثمّة قضية بيّنة ينفصل فيها طرفا الخير والشرّ إلى أبيض وأسود.. لم يتحقّق ذلك إلّا في زمن قلّة من الأنبياء. أمّا السواد الأعظم من الأحداث فكان متداخلاً، حتى لا تكاد ترى خيوطاً بيضاء وسوداء، وتكاد تضيع المسؤوليات والأخطاء بين الأطراف المتصارعة.

ولكن كان ثمّة إمكانية دائمة للتفريق ما بين جانٍ وضحية، كان يمكن الاعتماد دوماً على لغة الأرقام التي لا يمكن لها أن تكذب، فالضحية باختصار، وببساطة شديدة، هي التي ينتشر الموت في صفوفها أضعاف ما نراه في صفوف الآخرين، بغضّ النظر عن أخطاء الضحية وضعف خبرتها، وسهولة استجرارها وتوريطها في ارتكاب مزيد من الأخطاء، بما يشوّه صورتها ويضعف من عدالة قضيّتها.

لا توجد جماعة بشرية من غير أخطاء وتجاوزات، والمؤكد أنّ من يطلب ذلك لا يعرف الكثير عن التاريخ البشري، وعلى الأغلب سيكون معزولاً ومحاطاً بمجموعة من الأفكار والتصوّرات المغلقة التي لا تقبل الكثير من النقاش، هذا إن أحسنّا الظن. ولكن الحقيقة التي تصدمنا دوماً أنّ الإصرار على تفسير الأحداث تفسيراً منحازاً للجاني لا يعكس ضعفاً في قراءة الأحداث، بقدر ما يعكس قراراً مسبقاً بالاصطفاف مع حلف الأقوياء.. القتلة!..

(5)

جلال مراد

معيقات متوقعة

من المؤكد أن هناك قوى متمثلة بأشخاص، وكتل، وكتائب، وأجهزة أمنية، وفاسدين من مستغلي الأزمة، لن يسمحوا بتمرير عمليات التنظيم والبناء "الموصوفة في الجزء السابق". وقد نجد على الطريق عقبات أخرى أيضاً.

من المهم تحديد تلك العقبات في البداية وتحديد مكامن القوة التي تمتلكها تلك العقبات، والعمل على استنباط الحلول المناسبة القابلة للتحقيق.

إن وضوح الرؤية، والعمل الإيجابي الوطني الاجتماعي النزيه سيجرد هذه القوى من الكثير من أسلحتها. إن إكساب هذا الجهد معنى اجتماعي، وخدمي سيزود القائمين على هذه الجهود بتأييد اجتماعي (من المناسب عدم وجود أي طرح سياسي أو أيديولوجي في هذه الجهود) إن الجهود الدعوية والتوعوية للعمل ستزيد حجم القبول والدعم الاجتماعي لفريق العمل. يمكن من خلال هذا الجهد الدعوي التوعوي بداية العمل أن يفضي لانخراط العديد من الشخصيات الاجتماعية في ذلك النشاط.

من الواجب عدم حشد كل العقبات معا في البداية، فالتوجه مثلاً نحو حل مشكلة المياه (ما قبل الوصول لعزل البلديات عن السلطات المستغلة أو غير الكفوئين) سيؤلب الفاسدين المتعلقين بهذا الملف فقط، ولن يؤلب الفاسدين في باقي القطاعات، إن إنجاز ونجاح ملف كملف المياه سيجمع عدداً أكبر من الناس حول الناشطين، ويزيد الكم العددي للمهتمين، وهذا يعطي دفعاً أقوى للبداية بالعمل لحل ملف جزئي ثانٍ.

إن هذه الجهود بتعاقبها، وتوسعها، واتساع الشريحة الاجتماعية الداعمة لها، ستشكل لها قوة تستطيع من خلالها التوجه للبلديات والبدء بالعملية المهمة وهي استقلال البلديات عن السلطات الفاسدة. وهذا يوازي على مستوى وطني عزل الدولة عن السلطات الجائرة.

المعرفة الموضوعية:

ما ذكر سابقاً هو مثال، وباعتقادي أنه يصلح ليكون أيضاً برنامج عمل مهم لاستعادة الدولة المخطوفة.

لكن من المهم بكل الأحوال أن يتحلى الفاعل بمعرفة موضوعية للواقع. هذه المعرفة التي بينا في استهلال ومتن الدراسة جانباً منها. وجانباً من أدوات البحث أيضاً الملائمة لهذه المعرفة.

سنرى الآن بيسر أن كل الجهود التي بُذلت في حالة الانفجار الأول نحو تنظيم الحراك كانت محكومة بالفشل، لأن صفة الحركة كانت بالابتعاد عن أي شكل من أشكال الوصاية أو الجمعية، بحكم أن اللحظة السابقة للانفجار كانت لحظة التحكم الشمولي بالمجتمع.

إن الجهود الحثيثة والعنيدة لدى الحالمين والدونكشوتيين في معاندة الحركة العامة للواقع وقواه تشبه حالة شخص يقف أمام قطار منطلق بسرعة في محاولة منه لإيقافه

وفي مرحلة توازن القوتين، الانفجارية والجاذبة المركزية، بدأت الناس بالتحلق حول هوياتها الجزئية كما نوهنا. وبدأ بالتوازي مع ذلك بروز الأعلام المناطقية، والعائلية، والطائفية، والعرقية، وغيرها من الأعلام مقابل انحسار ظهور الهوية الوطنية المركزية بانحسار العلم السوري سواء العلم الخاص بالنظام أو العلم الخاص بالمعارضة.

أيضا كانت الجهود في هذه المرحلة التي تعلي من العلم الوطني محفوفة بالمخاطر، والتحجيم، وربما القتل بسبب طبيعة المرحلة. الفكرة العامة من كل ذلك الاستعراض تتلخص بضرورة فهم الواقع، حركة القوى في الواقع، مساره، تمهيداً للقيام بفعل مؤثر يقود للهدف الإنساني.

إذاً إن فهم الواقع فهماً موضوعياً ضرورة لإحداث تغيير حقيقي وإنساني في الواقع، وهذا ما كان غائباً عن المثقف السياسي الذي اكتفى بطرح المآل والهدف الأيديولوجي، دون وضع برنامج يتوافق مع روح الواقع في لحظاته المتعاقبة.

الجهد المثمر:

بعد أن رأينا أن للواقع حركته الخاصة، التي تدفع بقوة لا يمكن للإرادة الذاتية تغييرها، بل إنها تحطم أي إرادة لا تتوافق معها، وجب علينا التفكير بالكيفية المجدية لكي تقوم الإرادة الذاتية في تغيير مسار الأحداث، ثم هل من الضروري القيام بذلك، أم أن كل الجهود الإراداوية الموجهة من قبل يوتوبيا ما لا حاجة لها. ثم هل فعلاً حرف الأحداث باتجاه يوتوبيا ما وتصور ذهني عن الأفضل هو فعلاً أفضل للناس.

سأضع كل تلك الأسئلة المشروعة جانباً، وأركز فقط على أمر مهني إجرائي يتلخص بالكيفية الممكنة لتدخل الإرادة الذاتية في تغيير مسار حركة واقعية ذاهبة باتجاه ما.

الحقيقة أن هذا التأثير ممكن، فكما سبق وقلنا ليس بمقدور شخص إيقاف قطار مندفع بسرعة، لكن يمكن ليد خبيرة تغيير مسار القطار بتغيير اتجاه سكته.

فالتحليل السابق أظهر أنه مهما كان الشكل الخارجي للدولة السورية، فإن عامل الازدهار مرهون بالجهد الإرادي. ومن الواضح أن أي إرادة يقبع خلفها فكر محرك وقصدية واضحة، لكن ما طبيعة هذا الفكر وما هو وما محاوره ومحتواه؟

يتبع .....

بين تدمير غليون.. ورئاسة قسيس

أبو القاسم السوري

يقول الدكتور محمد طه بدوي بأن كل إنسان يحمل في ذاته ما يسميه بـ "جوهر السياسة" ويشمل حالتين متناقضتين هما:

أ- الأمر: بمعنى كل إنسان سوي لديه درجة من السيطرة على الآخرين.

ب- الطاعة: بمعنى لديه درجة من الاستعداد لطاعة الآخرين.

وطبعاً إذا كان القائد السياسي يرى أن سيطرته على الآخرين وقدرته على الأمر هي غير مقيدة، ومنطلقة أساساً من عوامل ذاتية قهرية وتسلطية، وأنه غير خاضع لطاعة، وحتى لو كان من المجموع الشعبي أو الشرعي هو الذي أعطاه سلطة الأمر، إذاً نكون حينها أمام ديكتاتورية مستبدة كما هو حال بشار الأسد وغيره من المستبدين. بينما إذا كان القائد السياسي يرى أن سلطته الآمرة هي ليست منطلقة من ذاته، وهو خاضع لطاعة المجموع الذي شرعن وجوده في سدة السلطة، نكون أمام نموذج تشاركي شرعي كما حال القادة السياسيين في الدول الديموقراطية المتقدمة.

لماذا ابتدأت بهذه المقدمة النظرية؟

حتى أصل إلى استنتاج معاش خلال ست سنوات من الثورة، وهو منطلق أساساً من حالة التصحر السياسي الذي عاشه المجتمع السوري لما يزيد عن 40 عاماً، والذي أثر على ماهية جوهر السياسة في داخل المواطن السوري، والذي اقتصر خلال فترة ما قبل الثورة على طاعة عمياء فقط. وبعد تحرر مناطق عدة في سورية من النظام، انقلبت هذه الحالة داخل المناطق المحررة إلى حالة تتمترس وراء ظاهرة الأمر فقط، دون أي طاعة، وبالتالي الجنوح الكبير نحو مشاريع السلطة والهيمنة، وخاصة أن هذه المشاريع ألْبست لبوسات دينية ومنهجية لشرعنتها. وعليه كانت النتيجة الحتمية لهذه الحالة هي إنتاج حالة من العطالة الدائمة، أدت إلى فشل بناء أي جسم قيادي أو إيجاد قيادة مرجعية للثورة، وطبعاً المبررات في كل مرحلة تختلف بحسب الظروف السائدة، فإذا ما حاولنا استرجاع تجارب إنتاج قيادة للثورة السورية سنصطدم بتلك الحقيقة المرة.

فمع بداية تشرين الأول/ أكتوبر 2011 أنشئ المجلس الوطني السوري في محاولة لاستنساخ تجربة المجلس الوطني الليبي، والذي استطاع -وبمساعدة غربية- إسقاط نظام القذافي. وترأس المجلس الوطني كأول رئيس الدكتور برهان غليون أستاذ علم الاجتماع في السوربون في فرنسا، لتبدأ عملية إسقاط المجلس من قبلنا قبل غيرنا بحجج متعددة! كالقول إن المجلس الوطني "معارضة خارجية" وأن برهان غليون شخص علماني.. ليدخل المجلس الوطني بحالة من الشلل.

وفي تشرين الثاني/ نوفمبر 2012 أنشئ الائتلاف الوطني السوري، ليرأسه رجل الدين الدمشقي معاذ الخطيب، ولنعيد نفس الكرة ولكن هذه المرة بحجج جديدة.

وفي ديسمبر 2015 أنشئت الهيئة العليا للتفاوض، برئاسة أكبر شخصية مدنية منشقة عن النظام الدكتور رياض حجاب، لنعيد نفس الكرة في تدمير مؤسسات قيادة الثورة، وتدمير أشخاصها. ولعل أخطر طعنة تلقتها الهيئة العليا للمفاوضات هي ما حصل أخيراً من قبول الفصائل السورية الذهاب لمؤتمر الأستانة باعتبارها فصائل متفرقة وليست تحت عباءة هيئة جامعة لها، علماً أن غالبية هذه الفصائل ممثلة بالهيئة العليا للمفاوضات.

إذاً حالة الخلل ما زالت موجودة، وهي ظاهرة. الامتناع عن الانخراط في أي جسم أو مؤسسة تجبر طلاب السلطة على الخضوع أو الطاعة بما يحقق مصلحة المجموع.

وعليه يمكن فهم حالة العجز التي وصلنا إليها في عدم القدرة على إنتاج أجسام قيادية حقيقية، وهذا الأمر لا ينطبق على المؤسسات السياسية الكبرى التي ذكرناها سابقاً، بل هي حالة منتشرة في كل المناطق المحلية المحررة في سورية. فإذا ما استعرضنا واقع مناطقنا المحررة، نجد أننا فشلنا في إنتاج أجسام قيادية موحدة لهذه المناطق، ولذلك انحصر اهتمام القوى الموجودة في هذه المناطق بالحفاظ على ذاتها، دون أن تنظر بشكل أوسع من ذلك، وبالتالي تجذّرت حالة من العطالة وعدم الفاعلية للاستجابة للتهديدات في مناطق أخرى.

ولعل جمود جبهات عدة مناطق في سورية، في حين كانت المعارك مشتعلة على أشدها في مناطق أخرى، كنموذج حلب ووادي بردى، خير دليل عن هذه العطالة. ولعل هذه الحالة أوصلت العديد من السوريين لحالة من اليأس بأن تستطيع قوى الثورة إنتاج قيادة حقيقية.

ويمكن من هنا فهم حالة التفاعل -ولو كان من الناحية الهزلية- لدى الكثيرين إبان تسريب اسم "رندة قسيس" كرئيسة لسورية؛ فأعتقد أنه في داخل نسبة كبيرة من السوريين باتوا يعتقدون أن توحد قوى الثورة لن يكون من الداخل، وإنما بإملاء من الخارج.

وعليه يمكن القول إنه من سعى لتدمير برهان غليون فمن الضروري أن يناقش اليوم هل من الممكن أن يطرح اسم رندة قسيس لمنصب معين! وأنا هنا لا أستهدف تلميع صورة شخص أو مهاجمة شخص، وإنما ما أناقشه هو ضرورة خروجنا من حالة التدمير الذاتي الذي نتبناه؛ فاليوم لدينا هيئة عليا للمفاوضات، دعونا نقف خلفها صفّاً واحداً كقوى ثورة وفصائل على المستوى الخارجي. أما على المستوى الداخلي، أيضاً يجب علينا تكرار الأمر؛ فلنقف صفاً واحداً خلف المؤسسات التي أنتجناها، ليس فقط لنبني مؤسسة سلطات أمر، بل لنكون جزءاً من مؤسسات ثورية على مستوى سورية، ونقبل الطاعة بما يحقق مصلحة الثورة.

إدوارد سعيد وترياق الكراهية

يوسف المنجد

على الرغم من الأهمية البالغة لأفكار وكتابات المفكر العربي الراحل إدوارد سعيد، والانتشار العالمي لها، وخصوصاً في مجال فهم العلاقة بين الأعراق والثقافات، ومنها العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي، إلا أن تلك الأفكار والكتابات ظلت، في المجال الثقافي العربي تحديداً، وقفاً على النخبة المثقفة، هذا إذا لم نقل على نخبة النخبة، ولم يكن هنالك أي جهد لتعميمها -إن صح التعبير- على مختلف فئات المثقفين. وربما يرجع السبب في نخبوية كتابات سعيد، إلى الصعوبة التي تكتنفها؛ سواء من حيث الشكل أو المضمون، تلك الصعوبة التي يمكن إسنادها إلى الثقافة المتنوعة والمتعمقة في آن، التي كان يحوزها الراحل سعيد، الأمر الذي يجعل أمر تلقف أفكاره مهمة تحتاج إلى جهد وصبر كبيرين، مع مستوى ثقافي عال.

إضافة إلى كون كتاباته كلها قد تُرجمت عن اللغات الأجنبية من قبل مثقفين ذوي تخصص رفيع المستوى في النقد الأدبي، وخصوصاً الترجمة الأولى لكتابه "الاستشراق" والتي نهض بها الناقد الأدبي المعروف كمال أبو ديب، مُؤْثراً فيها الابتعاد عن المصطلحات الأجنبية، ونحت مصطلحات عربية بديلة. ومع أن ترجمة "أبو ديب" للاستشراق لا يمكن أن توصف بكونها مجرد ترجمة، بل مما يمكن أن يصنف ضمن خانة الإبداع مع الإبداع، إلا أن ذلك النهج رغم دوافعه الحضارية المرموقة، ساهم في زيادة صعوبة تناول الكتاب كما رأى كثيرون. الأمر الذي تم تجنبه في الترجمة العربية الثانية للاستشراق، والتي تولاها الدكتور محمد العناني، حيث تم تقديم الكتاب بلغة سلسة ومعاصرة.

ولعل أفضل ما يمكن أن يوصف به فكر الراحل سعيد، هو أنه فكر إنساني بكل ما في هذه الكلمة من عمق ومن معانٍ جميلة نبيلة، وفكر موضوعي مُنصف إلى أقصى ما يستطيعه إنسان من لحم ودم وهوية وثقافة.

وجوهر رسالته هو غرس الوعي بحقيقة المساواة الإنسانية، من خلال مقته الشديد للمركزية والاستعلائية والشوفينية وتسامي الأعراق وتفاضل القوميات والثقافات.

وصحيح أن هجومه ينصبُّ أكثر ما ينصب على استعلائية الغرب، وعنصريته وإرادة الهيمنة على الشعوب التي يعتبرها في مرتبة أدنى؛ إلا إن هجومه ذاك موجه في الحقيقة إلى عموم الاستعلائية وادعاءات الفرادة والنقاوة والجوهرانية أياً كان مصدرها.

فهو لا يرمي إلى استبدال مركزية الغرب بمركزية أخرى، أو استعلائية الغرب باستعلائية العرب (مثلاً)، وإنما هو ضدّ الاستعلائية والتمايزية بالمطلق. فالثقافات عنده منشبكة متداخلة، متكئة على بعضها، متكاملة فيما بينها، ولا وجود لثقافة نقية خالصة بالكامل. وهي (الثقافات) دنيوية تاريخية، بمعنى أنها من إنتاج البشر ومن ثمار الخبرات الإنسانية، فهي بالتالي ليست منزَّلة ولا منزَّهة ولا مقدَّسة، بل هي تخضع باستمرار للنقد والفحص والمراجعة. وهي كذلك ليست جوهرية ثابتة بل متغيرة متطورة.

وفي نظر سعيد فإن أكثر ما يؤجج الصراعات والعداوات بين الأمم ويغذيها بالكراهية والنفور، هو التعصب والتباهي الثقافي، وتغذية الأجيال بمآثر الأجداد، ونحت شخصيات أسطورية منهم. في مقابل تبخيس الآخر ورفضه والحط من قيمه وثقافته ورموزه، وإن قبول الآخر عملاً لا نظراً، والتعرف عليه كندٍّ وليس كصنف منحط، لكفيل باستبدال ثقافة الكراهية والعداوة والبغضاء والنفور، التي تعد الوقود الذي يؤجج الصراعات ويخلق الحروب ويخلِّف الدماء والمآسي والآلام. والسبيل إلى ذلك في نظره هو تغذية الأجيال بالروح النقدية المتشككة التي لا تسلِّم بكل ما يقدم إليها، وبالانفتاح على الثقافات ودراستها، وعدم الاقتصار على الثقافة القومية.

ومع محدودية الاهتمام عربياً بإدوارد سعيد؛ إلا أنه كثيراً ما تم فهمه بخلاف مقصده، أو أُخذ في طرق مغايرة لتلك التي أراد سلوكها، إذ كثيراً ما تُستثمر كتبه ودراساته كوثائق إدانة للغرب وحلفائه من باب "وشهد شاهد من أهلها" باعتباره مسيحياً، ويحمل الجنسية الأمريكية، وعاش جلّ حياته في الغرب. كما ويُفهم كمدافع عن الإسلام، رغم أنه صرَّح في أكثر من مكان من كتبه أنه لم يكن يقصد لا في "الاستشراق" ولا في "تغطية الإسلام" ولا في غيرها من كتبه ومقالاته الدفاع عن الإسلام؛ وإنما الذي كان يقصده هو الهجوم على تزييف الوعي، وكشف الغطاء عن ادعاءات العلمية والموضوعية والنزاهة والحيادية والبراءة التي كان يزعمها الغرب لأعماله عن الشرق عامة وعن الإسلام والعالم الإسلامي خاصة، بهدف وضع القبول لتصرفاته لدى جمهوره تجاه الشرق، من احتلال وهيمنة واستعمار ونهب للثروات، وبيان أن تلك الأعمال الأدبية والفكرية التي كانت تستهدف الشرق، إنما كانت تنطلق من دوافع إمبريالية استعمارية.

فمن مبادئ سعيد الأساسية احترام جميع الأديان والثقافات والقوميات، وكثيراً ما يورد عبارة "إيميه سيزر": "ثمة متسع للجميع في ميدان النصر" كتعبير عن إمكانية التعايش السلمي وإنه ليس شرطاً لكي تزدهر ثقافة أن تقوم بالقضاء على الثقافات الأخرى.

كذلك فإن أفكار سعيد التي تدعو إلى الانفتاح والتمازج الحضاري، كثيراً ما تم استعمالها كمؤيدات للدعوة إلى الانغلاق والتنافر الثقافي، وأفكاره التي تدعو الغرب إلى مراجعة تصوراته عن الإسلام والعالم الإسلامي، كثيراً ما تستعمل في العالم الإسلامي لتأجيج الكراهية والعدائية للغرب وحضارته، كما تؤخذ في العالم الغربي أحياناً كدعوة لمعاداة السامية والتحريض على الإرهاب.

إن فكر سعيد مهم جداً كعلاج للكثير من الأمراض الفكرية والثقافية والحضارية في العقلين العربي والغربي على حد سواء، ولا سيما مرض الكراهية الذي يعد من أكبر مصادر الشر في العالم، ومن الضروري لكي تُفهم كلماته كعلاج لتلك الأمراض، لا كمصادر لها، وتساهم بالتالي في تقديم ترياق لسمومها، أن تكثر حولها الدراسات والنقاشات لتتمكن الأجيال من تطويرها والاستفادة منها.

دستور من خاطركم..
بـول بريمر لن يتكرر في سـوريا

سامي الساري

منذ بدء توارد الأنباء عن قيام روسيا بكتابة "دستور" للسوريين بدون (لا إحم ولا دستور) من السوريين أنفسهم، حتى بدأت بعض الأصوات القومجية العروبية تشعر بالخطر الروسي، فطوال سنوات الثورة لم نسمع منهم أي إدانة للمجازر التي يرتكبها الروس والإيرانيون والنظام الدكتاتوري بحق السوريين والسوريات، بل على العكس من ذلك فقد صدعوا رؤوسنا بالممانعة والمقاومة، وأن هذا النظام وحلفاءه هم الحصن المنيع وقلعة الصمود الأولى ضد "إسرائيل"، فظهر أحد القومجيين العرب يحذر من هذا "الدستور" وأن هنالك فقرة تخصّ الجيش السوري تقول صراحة إن الجيش ليس مكلفاً بخوض معارك خارج الحدود، ويحذر هذا القومجي أنه بهذه الفقرة لن يتمكن الجيش السوري الممانع من تحرير فلسطين واستعادة الأندلس، وقد نسي أو تناسى هذا القومجي الممانع أن هذا الجيش لم يكن يوماً جيشاً وطنياً؛ بل جيشاً مجرماً عندما بدأ بقتل المتظاهرين السلميين، وقصف بيوت المدنيين بالأسلحة الثقيلة، وتهجير وتشريد السكان وسرقة ممتلكاتهم.

بالعودة إلى الدستور الروسي المقترح، فعلى مرّ التاريخ سمعنا وقرأنا أن العديد من الدول قد قامت باحتلال دول أخرى واستعمارها وفرض هيمنتها، أما أن تقوم دولة بكتابة دستور لدولة أخرى فهذا لا يذكرنا إلا بمشروع "بول بريمر" في العراق الذي زرع بذور الطائفية الأولى في العراق، وقسّمه إلى أقاليم، بل ودمّره ومهّد لظهور التنظيمات الإرهابية كتنظيم داعش والحشد الشعبي، اللذين يرتكب كلاهما أفظع الجرائم بحق الشعب العراقي، بالإضافة إلى نشوء دولة ضعيفة يشوبها الفساد السياسي والاقتصادي، بل أصبح العراق دولة تابعة ومحتلة من قبل إيران، ومهددة بانفصال إقليم كامل عنها (كردستان).

مشروع الدستور السوري الذي صاغته روسيا، وقدمته إلى فصائل المعارضة خلال اجتماعهم في العاصمة الكازاخية أستانة ، أثار عاصفة من الجدل لدى مختلف فئات الشارع السوري. وعلى الرغم من تأكيد المعارضة التي اجتمعت في أستانة أن مشروع الدستور لم يناقش، بل إنها تركت المسودة على الطاولة، فقد عاد وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف إلى محاولة تسويقه من جديد خلال لقائه في موسكو وفوداً معارضة لم تشارك في محادثات أستانة، وغابت عنه أبرز التكتلات السياسية المعارضة. في هذا الاجتماع؛ دافع لافروف بشراسة عن مشروع الدستور، موضحاً أنه سيتم تقديمه للجميع (بالغصب): النظام والفصائل والقوى السياسية السورية، وأنه من الخطأ مقارنة مشروع الدستور الروسي لسوريا، بالدستور الأمريكي الذي وضعه بول بريمر للعراق، معتبراً أن مشروع بريمر الطائفي قد وضعه المحتلون، وفرضوه على الشعب العراقي، وأن بلاده لا تحاول فرض اقتراحاتها على أحد، وأن السوريين هم أصحاب القرار الأخير في الموافقة عليه.

وقالت ماريا زاخاروفا، الناطقة باسم وزارة الخارجية الروسية، إن الهدف من طرح ما أطلق عليه "المشروع الروسي" للدستور السوري الجديد، هو تشجيع السوريين على بدء المناقشة حول الموضوع. وأوضحت زاخاروفا، في تصريح صحفي، الخميس 26 يناير/كانون الثاني: "طبعاً، ليس هناك أي مساع للإجبار، وهو ليس برنامجاً ثابتاً للخطوات، إنما يدور الحديث عن مجموعة أفكار متنوعة، والهدف من طرحها هو مجرد البدء في الحديث حول هذا الموضوع".

لكن من خلال المعطيات والدور الذي تقوم به روسيا، عبر إنشاء قواعد بحرية وبرية داخل الأراضي السورية، بالتأكيد إن هذا الدستور الروسي سيعمل على معالجة تلك الهواجس الروسية التي تحدثت عنها وسائل الإعلام الروسية، والتي حذرت من تكرار التجربة في فيتنام؛ حيث سمحت الحكومة في هانوي بإقامة قاعدة بحرية، سرعان ما تراجعت عن دعم وجودها فيما بعد، ما أفضى إلى إغلاقها ووقف العمل على تطويرها في حينه.

فالضامن الحقيقي ليست الاتفاقات المتغيرة، بل الدساتير وما تتضمنه من بنود لترسيخ النفوذ والحفاظ عليها، ومحاولة الهيمنة عبر التحكم بمفاصل الدولة.

وإن كان عكس ذلك، أيعقل أن يفرض الروس أهم وثيقة وطنية على السوريين ألا وهي الدستور؟!

وبعيداً عن مناقشة هذا الدستور من الناحية القانونية، وهو باطل بالأساس؛ لأنه كُتب بأياد غير سورية، فحقّ الشعب في كتابة دستوره هو بداية الانطلاق من أجل تحقيق دولة عصرية متقدمة.. وهذا الحق يعنى حق الشعب في اختيار أدوات حكمه، وتحديد كيفية وشروط العمل السياسي في البلاد. إذ لا يمكن لأي شعب من الشعوب أن يكون حراً إذا فقد هذا الحق.

أما عن دستور بريمر الجديد في سوريا (دستور من خاطركم) فلن يمر على السوريين؛ فالشعب السوري قد اتخذ قراره منذ أن بدأ ثورة الحرية والكرامة لتكون سورية هي دولة المواطنة والعدالة والمساواة، ولن تشرق الشمس لا من موسكو ولا من الرياض أو طهران، فالشمس لن تشرق إلا من دمشق.. بلاد الشمس.

اللعبة الروسـية ومشروع الدستور

المحامي أنور البني

قامت روسيا وبخطوة مفاجئة نسبياً بتسليم مشروع دستور سوري جديد للوفود التي اجتمعت في أستانة. ومع أن الحديث عن وجود هذا المشروع للدستور كان متداولاً منذ فترة طويلة، إلا أن خروجه بشكل رسمي للعلن وتداول كل محتوياته أطلق عاصفة من الاحتجاجات والنقاشات حول الدستور ومن يضعه ومشروعيته.. وأثارت جملة من الاتهامات والجدل حول المسائل الإشكالية في المواد الدستورية؛ وهي هوية الدولة ودينها والإدارات المحلية ودورها.. واشتعلت حرب حقيقية بين مكونات المجتمع السوري حول هذه المفاهيم، في ظلّ احتقان وجد خلال الست سنوات التي مضت وقام النظام وحلفاؤه بتغذيته بالعنف الهائل الذي شهده المجتمع السوري، لوضع الجميع تحت ضغط هذا العنف وردات الفعل. وانقسمت المجموعات السورية (التي لم تكن متحدة أساساً) مجدداً حول المفاهيم الأساسية التي أطلقها مشروع الدستور، وهذا بالضبط ما كان هدف إطلاق مثل هذا المشروع من قبل روسيا..

فإطلاق نقاش حول مفاهيم الدولة الأساسية بهذا الوقت، وتحت كل هذا الاحتقان والعنف، وتسليمه ليد زعماء مجموعات مسلحة لم يكن لديهم سابقاً أي فكرة أو رؤية أو حتى ثقافة قانونية بسيطة، هدفه تماماً إشعال حرب جديدة بين مكونات المجتمع السوري، لصرف النظر عن الحرب الأساسية، وخلق مجرمين وجرائم أخرى لإبعاد التفكير عن المجرمين الأساسيين والجرائم الكبرى.

بغض النظر عن مواد مشروع الدستور الروسي وكيفية مقاربته للوضع السوري بما يحقق مصالح روسيا وحلفائها، وبغض النظر عن من يمكن أن يصيغ مواد دستور سوريا الجديد؛ فالثقافة الحقوقية هي ثقافة عالمية أساساً، ويتوجب علينا الاستفادة من التجارب العالمية حتماً عند إنجاز أي جديد، ليكون بالصياغة الأمثل والأفضل لمستقبل سوريا، وبغض النظر أن هناك اختلافاً كبيراً في رؤية السوريين لمشروع دستور يحكم مستقبلهم، وحتماً سيكون هناك صراع بين كل التيارات والاتجاهات السياسية والقومية والدينية حول كيفية رسم العلاقة بينهم في مستقبل سوريا.

بغض النظر عن كل ذلك، فإن إطلاق مشروع دستور من قبل روسيا الآن هدفه إحداث فتنة حقيقية بين مكونات الشعب السوري واستثمار كل هذا الاحتقان والغضب واليأس لدى الشعب السوري لحرف الثورة السورية عن هدفها، وتغيير فحوى الصراع وأطرافه، وتغيير مواقع الأطراف لتنتقل روسيا إلى حكم بينما هي خصم، وتنتقل إلى موقع الحياد بعد كل الإجرام والجرائم التي ارتكبتها في سوريا.

صراعنا الآن ليس على كيفية رسم مستقبل سوريا؛ فالشعب السوري مرّ بمراحل كثيرة كان هناك صراع كبير على رسم هوية ومستقبل الدولة السورية، وأنجز عدداً يتجاوز الخمسة دساتير في ظلّ وجود نفس مكونات الشعب السوري وتشكيلاته السياسية والدينية والقومية الموجودة حالياً، وتجاوز خلافاته وأنجز دساتير كانت قدوة في كل المنطقة، ولم تحصل حروب بين هذه المكونات، ولم يُمحَ أو يباد أي مكون من مكونات الشعب الذي مازال موجوداً. لذلك لا خوف على الشعب السوري أن يتجاوز خلافاته وينجز مستقبلاً دستوراً مميزاً، يحفظ حقوق كل مواطني دولته دون أي تمييز.

صراعنا بدأ وما زال مستمراً مع الاستبداد والديكتاتورية. صراعنا كان وما زال مع مجرمي الحرب والمجرمين ضدّ الإنسانية. صراعنا مع دول احتلال تتمدد وتتمدد، وتنشئ مناطق سيطرة ونفوذ على حساب سوريا والشعب السوري. بوصلتنا هي الحرية والكرامة والوطن لكل مواطنيه مهما اختلفت قوميتهم أو دينهم أو طائفتهم أو جنسهم، وهذا لن يكون بوجود الديكتاتورية أو الاحتلال، ولن يتم بمشاركة مجرمي الحرب الذين ارتكبوا أفظع الجرائم بحق سوريا والسوريين؛ فهؤلاء لا وجود لهم في مستقبل سوريا حتماً وهؤلاء المجرمون هم الطائفة الوحيدة التي تستحق أن تُمحى ويتم استئصالها من مستقبل سوريا.

إن اللعبة الروسية بإطلاق مشروع دستور لتغيير جوهر الصراع لا يجب أن تنطلي علينا، وأن نسارع للركض للملعب الروسي لمناقشة ما يطرحونه، ونلعب لعبتهم التي وضعوا شروطها وقواعدها وأحكموا الحصار على اللاعبين.

إن الدساتير، وإن كانت نخبة قانونية تمثل كل مكونات الشعب تضعها ولا يعيبها أن تستفيد من كل التجارب، ولكنها لا تمر إلا عبر استفتاء شعبي يوافق فيه الشعب على مستقبله، وهذا لا يتم إلا في زمن السلم والأمان والاطمئنان، وفي ظل وجود قوى وأحزاب سياسية وفكرية، وليس بزعماء ميليشيات مسلحة! ولا يمكن أن يتم تحت ظل السلاح ودوي البراميل المتفجرة، ولا الطائرات القاذفة ولا الانتحاريين، ولا بظل دول احتلال ومناطق نفوذ.. ولا يمكن أن يطرح على شعب أكثر من نصفه نازح أو لاجئ، وثلاثة أرباعه تحت خط الفقر، وبلد أكثر من ثلثه مدمر تماماً، وأكثر من خمسمئة ألف ضحية، ومليوني مصاب، وربعه دون أي سكن، ونصف أطفاله دون تعليم، والأهم مازال المجرمون الذين قاموا بكل ذلك يطرحون بكل صفاقة مشروع دستور للنقاش!

هل هناك مهزلة أكثر من ذلك؟!

الفئات المحمية في القانون الدولي الإنساني

المحامي إبراهيم القاسم

منذ بدء الثورة السورية، عمد النظام إلى قتل البشر والشجر والحجر، واستعان بالمرتزقة من كل مكان على شكل ميليشيات طائفية ارتكبت برفقته جرائم حرب وجرائم ضدّ الإنسانية بحق الشعب السوري، سيما النساء والأطفال. وبعد ذلك استعان النظام بإيران وروسيا ليفتك بالشعب السوري. وفي سبيل تحقيق ذلك، استخدم النظام وحلفاؤه كل الأسلحة التقليدية والبيولوجية والكيماوية والأسلحة الحارقة، ذات القدرة التدميرية العالية والمحظورة دولياً.

وليضمن النظام وحلفاؤه القضاء على أكبر عدد ممكن من المدنيين، عمد إلى استخدام أسلوب التجويع والحصار، ومنع دخول المساعدات الإنسانية الغذائية والطبية.. وفوق ذلك كله استهدف بشكل مباشر كل الطواقم الطبية والإغاثية والصحفية، وطواقم الدفاع المدني في كل أنحاء سورية، حتى يحرم المدنيين من أي أمل في إنقاذ أو نجاة أو علاج أو حياة، ضارباً بعرض الحائط بكل الاتفاقيات الدولية التي تضمن حماية المدنيين والأطقم الطبية والإغاثية.

حيث جاءت اتفاقيات جنيف وبروتوكولاها الإضافيان لحماية مجموعة واسعة من الأشخاص والممتلكات، أثناء النزاعات المسلّحة، وأسرى الحرب والأشخاص المحتجزين الآخرين، بالإضافة إلى المدنيين والأعيان المدنية، بالإضافة إلى اللاجئين والنازحين والأشخاص المفقودين نتيجة نزاع مسلّح.

كما يحمي القانون الدولي الإنساني العاملين في المنظمات الإنسانية؛ كالأشخاص المسؤولين عن توفير الرعاية البدنية والمعنوية؛ أي أفراد الخدمات الطبية وموظفي الدعم الإداري وأفراد الهيئات الدينية الذين ينبغي ألا يكونوا هدفاً لأي هجوم، ويجب السماح لهم بأداء واجباتهم، سواء أكانت في المجال الطبي أم الديني. ويوطّد القانون الدولي الإنساني بصورة شاملة ومفصلة في نصوصه الحماية الممنوحة للطواقم الطبية ووسائل النقل والمعدات، مثل موظفي اللجنة الدولية وجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر. وتستفيد هذه المنظمات أيضاً من استخدام شارات الحماية، المعترف بها من قبل اتفاقيات جنيف والمتمثلة بالصليب الأحمر والهلال الأحمر والكريستالة (البلورة) الحمراء، وشارة الدفاع المدني والأعيان الثقافية المحمية.

وقد جاءت هذه الحماية وفق ما نصت عليه اتفاقيات جنيف الأربع وهي:

1 - اتفاقية جنيف الأولى (1949) تحمي أفراد القوات المسلّحة الجرحى والمرضى في الميدان.

2 - اتفاقية جنيف الثانية (1949) تحمي أفراد القوات المسلّحة الجرحى والمرضى والغرقى في البحار.

3 - اتفاقية جنيف الثالثة (1949) تحمي أسرى الحرب.

4 - اتفاقية جنيف الرابعة (1949) تحمي الأشخاص المدنيين.

5 - البروتوكول الإضافي الأول (1977) يعزز الحماية المكفولة لضحايا النزاعات المسلحة الدولية.

6 - البروتوكول الإضافي الثاني (1977) يعزز الحماية المكفولة لضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية.

7 - البروتوكول الإضافي الثالث (2005) يعزز الحماية للشارات الدولية.

وتأتي أهمية ضمان سلامة العاملين في مجال الإغاثة الطبية والغذائية وأفراد الدفاع المدني، الذين يقومون بعمليات الإجلاء، ومكافحة الحريق، وتطهير جثث الموتى.. في ظلّ الصراعات المسلّحة، وما تتركه من آثار وأضرار على المجتمعات.

وحسب القانون الدولي الإنساني، لا يجوز ارتكاب أي هجوم على العاملين في مجال الإغاثة الطبية والغذائية وأفراد الدفاع المدني، طالما أنهم لا يشاركون في العمليات العدائية. وينصّ القانون الدولي أيضاً على توفير الحماية للمعدات والسيارات والمباني المستخدمة من قبل هذه الفئات.

فنصّت اتفاقيات جنيف على أنه من واجب الدول وقت النزاعات المسلحة "أن تكفل حرية مرور جميع إرساليات الأدوية والمهمات الطبية، المرسلة حصراً إلى سكان طرف متعاقد آخر من المدنيين، حتى لو كان خصماً. ويتعين لها السماح بحرية مرور أي إرساليات من الأغذية الضرورية والملابس والمقويات المخصصة للأطفال دون الخامسة عشرة من العمر والنساء الحوامل أو النفاس".

لا يوجد أي مبرر لاستهداف هذه الفئات مهما كانت الأعذار والحجج، وحتى مبدأ الضرورة الحربية، لا يمكن اعتماده في استهداف هذه الفئات، فعمل هذه الفئات لا يشكل تهديداً مباشراً أو غير مباشر على قوة المتحاربين، وهذا ما يتطلب من القوات المتحاربة حتى في حالة الضرورة الحربية اختيار وسائل حربية تتناسب مع غاية الضرورة الحربية؛ فوفق مبدأ التناسب، على سبيل المثال يجب أن تتلاءم أعمال القصف والتدمير والتخريب للممتلكات الخاصة، أو العامة أو للأراضي الزراعية، مع متطلبات سكان الإقليم المدنيين، واحتياجاتهم، فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن تستخدم القوات المتحاربة -حتى في ظل قيام مبررات الضرورة الحربية وتوافرها- ما قد يؤدي إلى المساس باحتياجات قد تؤدي إلى وضعهم في ظروف معيشية صعبة أو التأثير على استقرارهم، كاستهداف الفئات المحمية والأعيان المحمية، سيما الفئات التي تقوم بالعمل الإنساني.

وفي سورية رفض النظام السوري الاعتراف بأن الوصف القانوني للحالة في سورية هي حالة نزاع مسلّح غير دولي، وادعى دوماً أن ما يقوم به يأتي في إطار محاربة الإرهاب، وهذا الأمر وضع الفئات المحمية أمام تداعيات خطيرة منها: عدم خضوع الدولة للقانون الدولي الإنساني في إدارة عملياتها القتالية ضدّ المعارضة المسلّحة، وبالتالي عدم السماح لهيئات العمل الإنساني بالقيام بعملها في سورية، وفي كثير من الأحيان عدم السماح أساساً بوجود هيئات العمل الإنساني على الأرض، باعتبار أن القضية "شأن داخلي" في إطار مكافحة الإرهاب، وإطار التطبيق القانوني لها هو القانون الوطني السوري الداخلي وليس الدولي.

هل نحن بحاجة دستورٍ جديدٍ، أم إعلانٍ دستوريٍ؟

المحامي ميشال شماس

قبل الإجابة على هذا السؤال، لابد من إيضاح الموقف من الخطوة الروسية الأخيرة، التي تمثلت باستغلال روسيا لمؤتمر الأستانة، وطرح مشروع دستور سوري "بنكهة روسية" على المجتمعين. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هو لماذا طرحت موسكو مشروعها للدستور السوري في اجتماع الأستانة المخصّص أساساً ليس لبحث قضايا سياسية، بل لتثبيت وقف إطلاق النار؟!

مما لاشك فيه أن روسيا تريد سريعاً استثمار سيطرتها العسكرية في سورية، من خلال حمايته سياسياً، عبر فرض حلٍ سياسي يخدم مصلحتها، قبل أن ينتهي ترامب من إنجاز تشكيلته لإدارة السياسة الأمريكية الجديدة. كما ويأتي طرح موسكو لمشروع الدستور السوري لقطع الطريق أمام أي حديث عن المطالبة بمرحلة انتقالية في سورية لا تريدها موسكو، وجمع ما أمكنها من أطراف سورية معارضة ومتعارضة تحت قيادة الأسد، في حكومة واحدة مع منحها بعض الصلاحيات الشكلية، وهو ما يعني إعطاء صكّ براءة لنظام الأسد من جرائمه التي ارتكبها بحق الشعب السوري، وإعادة تكريسه ليس كما كان قائماً قبل آذار عام 2011، وبل على نحو يشبه اتفاق الطائف اللبناني الذي كرّس سلطة أمراء الحرب الأهلية اللبنانية.

فما نحتاجه في هذه المرحلة، ليس صياغة دستور جديد لسورية، على أهميته، بل إلى الاتفاق على مرحلة انتقالية تلي تثبيت وقف إطلاق النار؛ فالبلاد في حالة دمار وخراب شبه كامل بشرياً واقتصادياً، وهي تحتاج بالتأكيد إلى فترة علاجية لمساعدتها على وقف الانهيار في المجتمع، وسلوك طريق التعافي من المأساة الرهيبة التي تعيشها. هذه الفترة العلاجية تحتاج إلى مدة لا تقل عن سنتين. ولن تتعافى سورية من محنتها، إن بقي في الحكم من ساهم في تدميرها وكان بإمكانه تفادي ذلك ولم يفعل.

تفترض المرحلة الانتقالية بداية وقف العمل في الدستور الحالي، ووقف العمل بالقوانين المقيدة للحرّية والمحاكم الاستثنائية، وإصدار إعلان دستوري مؤقت، يتضمن عدداً من المبادئ الأساسية لا تتعدى أصابع اليدين، وفي مقدمها التأكيد على الالتزام بوحدة واستقلال سورية وتنوعها الثقافي والقومي والديني، والتأكيد على مدنية وديمقراطية الدولة، ومبدأ تداول السلطة سلمياً، ومبدأ سيادة القانون والمساواة فيه وأمامه لجميع السوريات والسوريين، والالتزام بمبادئ حقوق الإنسان المنصوص عليها في كافة الاتفاقيات والمواثيق الدولية ذات الصلة بحقوق الإنسان، ولاسيما المتعلقة بحقوق الطفل والمرأة وحرية الرأي والتعبير والفكر والاعتقاد، وعدم التمييز بين السوريات والسوريين لأي سبب كان، والتأكيد على استقلالية القضاء بصفته الضامن للحرّيات والحقوق، وعدم إصدار أي قانون أو تشريع ينتهك هذه المبادئ.

ويتضمن الإعلان الدستوري طريقة تشكيل الحكومة المؤقتة لإدارة البلاد خلال المرحلة الانتقالية على أن يراعي في تشكيلها التنوع السياسي والقومي والديني للسوريين. ومنحها مجتمعة كافة الصلاحيات التنفيذية وبعض الصلاحيات التشريعية، بما لا يتناقض وأحكام الإعلان الدستوري. وفور تشكيل الحكومة تعلن قبولها كافة المساعدات الخارجية غير المشروطة، وتباشر بإعادة بناء ما تهدم، وتهيئ الظروف الملائمة لعودة كافة اللاجئين بأقصى سرعة ممكنة، وتعيد تأهيل وتشغيل الإدارات والمؤسسات، وضبط الأمن، وعمل كل ما من شأنه أن يخفف المعاناة عن كافة السوريين. وتعيد هيكلة السلطة القضائية وتأمين استقلالها، كما تباشر بسحب السلاح وحصر استخدامه بقوى الجيش والأمن، على أن يُعاد تأهيلهما على أسس وطنية احترافية، وإخضاعهما لسلطة الحكومة ورقابة السلطة القضائية، وإحالة من تورّط منهم بقتل السوريين إلى المحاكم.

ويتضمن الإعلان الدستوري أيضاً النص على إنشاء هيئة للعدالة الانتقالية يأتي في مقدمة مهامها إطلاق سراح كافة المعتقلين والكشف عن المفقودين، وإنشاء صندوق لتعويض الضحايا، وإجراء مصالحة وطنية وتخليد ذكرى الضحايا، والنظر في تشكيل محاكم وطنية لمحاكمة مرتكبي جرائم الحرب أو الجرائم ضدّ الإنسانية وغيرها من الانتهاكات الخطيرة لحقوق الإنسان، وتستمر هذه الهيئة في عملها حتى إتمام عملها.

وأخيراً يجب أن ينصّ الإعلان الدستوري على تشكيل جمعية وطنية، يُنتخب نصف أعضائها من الشعب، تعمل على إصدار قانون للانتخابات، وصياغة مشروع دستور جديد للبلاد.

وحال الانتهاء من صياغة مشروع الدستور، تسلّمه للحكومة المؤقتة التي تقوم بعرضه على الاستفتاء الشعبي، وبعد أن يحوز الدستور على موافقة الشعب، تباشر الحكومة المؤقتة بتهيئة الأجواء الأمنية والسياسية والإعلامية لإجراء الانتخابات النيابية والرئاسية، بإشراف ورقابة منظمات المجتمع الأهلي المحلي والعربي والدولي وفقاً لمواد الدستور الجديد؛ حيث تنتهي مهمة الحكومة المؤقتة حكماً بعد إعلان نتائج الانتخابات النيابية والرئاسية وتشكيل الحكومة الجديدة.

السوريات والسوريون ليسوا عاجزين عن صياغة دستور، ولديهم ما يكفي من الكفاءات لصياغة دستور للبلاد، وهم ليسوا بحاجة لمن يفرض عليهم دستوراً غريباً عنهم، فما يحتاجونه اليوم من المجتمع الدولي هو الكفّ عن دعم من ساهم بتدمير البلاد، ومساعدتهم على لملمة جراحهم وإعادة بناء دولتهم بعيداً عن القتل والتدمير والاستبداد والتطرف.

أنت حلبي ؟!

نبيل سايس*

بدأت هذه القصة عندما كنت في الثامنة من عمري في اليمن.. علمت بأن طفلاً سورياً آخر غيري في المدرسة، وهو من الشعبة "د"، فانتظرته طويلاً على باب صفّه، أنا وصديقي، وحين خرج قال لي صديقي اليمني: هذا هو.

فاستقبلته ضاحكاً، وأكاد أصرخ لأنه أول من سوف أتحدث معه بلهجتي، وفي المدرسة:

- لك أهلين وسهلين وميت السلامة.

تركنا الجميع، تحدثنا طويلاً، كان الحديث حميماً جداً، وخاصة عندما اكتشفت أنني صديقه السوري الأول في اليمن، وأنه ولد مثلي في صنعاء.. قال لي:

- أنا من اعزاز، هي بعد حلب، أنت من وين؟

- ما بعرف أنا من وين.. أنا ولا مرة رحت لسوريا.

- أنت حلبي.. بس من وين من حلب؟

- شلون عرفت أني حلبي؟!

- أنت عم تحكي حلبي!

- شلون يعني؟

- أشو شلون يعني؟ جدبة* شي انت كني*؟

حينها عدت إلى المنزل وسألت والدي

- من وين نحن؟

- من سوريا.

- أي.. أي.. بعرف من سوريا لكان من السودان؟ قصدي من أي مدينة؟

ضحك أبي حتى احمرت وجنتاه. ثم أجابني.

- من حلب

- أصلاً أنا عرفت إني من حلب. اليوم صار عندي رفيق سوري قلي أنت من حلب.. لأنو عم تحكي حلبي.

بدأ والدي حينها يحكي لي أن حلب مدينة عظيمة، قال لي إنها أقدم مدينة في العالم! ثم بدأ يحكي لي عن تاريخها العريق، وعن قلعتها.. كم كان خبراً غريباً بالنسبة لي حين قال لي بأن مدينتك تقبع في منتصفها قلعة مهيبة واسمها قلعة حلب!

- أوف حتى القلعة اسمها حلب؟!

- إي لكان.. وما ضل حدا بالتاريخ إلا وبدو يدخل عليها.. ويحكم حلب من جواتها.

- وهلاً مين قاعد فيها؟

- ما حدا.. أي حدا بيقدر يدخل، يعني كل الناس!

وحينها فقط تحولت أحلامي إلى حلب، حين أكبر سوف أذهب إلى حلب، وسوف أسكن في قلعتها، لأنها "لكل الناس".. وسوف أحكم المدينة.. لأني سوف أسكن في القلعة.. ولكن.. كل الناس في القلعة! اذاً علي أن أذهب باكراً وأسبق الجميع!

وبعد سنتين دخلت إليها لأول مرة في حياتي، كانت هناك رائحة غريبة تداعب أنفي.. قال لي بعض الأصدقاء من أصدقائي الحلبيين مازحاً في ما بعد:

- هي ريحة قليط*!

فكرت كثيراً في تلك الرائحة حتى عمري هذا.. لم تكن رائحة "قليط" بل كانت رائحة حلب! بدون أي مبالغة.. وكانت تلك الرائحة تدخل إلى مسامي أكثر فأكثر في كل يوم كنت أعيشه في تلك المدينة.. وفي كل يوم كنت أمر فيه بأسواقها القديمة قدم التاريخ ذاته.. في كل كأس من الشاي شربته في مقاهيها أو على عتباتها.. وفي كل فنجان قهوة احتسيته في حدائقها وحاراتها وعلى أدراج كنائسها.. وفي كل آذان كنت أسمعه من الجامع الكبير أو أي جامع فيها.. تلك الرائحة لم تخرج مني يوماً..

حتى وإن سافرت إلى جميع أصقاع الأرض في ما بعد.. بقصد أو بدونه، ما زلت أستعمل مصطلحاتي الحلبية أينما ذهبت، وإن كانت غريبة بعض الشيء مثل (تيْمِمْ) أي باق، أو (كُهْنَهْ) أي هذا هو، أو (ديْهْ) بمعنى هيّا، لأقف أحياناً في مواقف مضحكة؛ كأن يقف الشخص الذي أحدثه -عند إحدى تلك الكلمات- مستغرباً وكأني أحدثه بلغة سنسكرتية لأعود مكرراً في غضب:

- ديه إشّبَكْ .. أشْ صرلَكْ قلبت عمود صَرْمَدَا*؟!

ثم استطرد بعد أن أدرك أنه لن ينهض:

- ديه بروك* خليك.

ليقف مرة أخرى مستغرباً أكثر، ثم يضحك حين يعلم إنّي كنت أتعمّد التحدث بكلمات غريبة.

وحتى الآن، وأعتقد أني سأبقى كذلك حتى آخر يوم في عمري، لا أرمي أظافري في المنزل لأنها "بتعمل مشاكل" ولا أترك أحداً يعبث بالمقص أمامي؛ أي يفتحه ويغلقه دون أن يقصّ به شيئاً: "لأنه بيجيب شر".. مع أني أعلم بأن لا شيء علمياً في ذلك الحديث، ولكني مقتنع داخيّاً بذلك! وفي أكثر من موقف كان أحدهم يقول لي:

- إنت حلبي؟!

نعم، أنا حلبي.. وقد تجدد حلمي أن أعود إلى حلب، ومازال حلمي أن أدخل قبل الجميع إلى قلعتها، هذه المرة ليس لأحكم المدينة، بل لأفتح الباب لكل الناس، تماماً مثلما قال لي أبي رحمه الله.

• جدبه: مجنون.

• مية السلامة: كلمة للترحيب، ولا تستعمل إلّا في مدينة حلب.

• كني: يا هل ترى؟

• قليط: اسم فرع من فروع نهر بردى في دمشق، مياهه لا تجري وتحمل الكثير من الأوساخ لتتحول إلى مصدر للروائح الكريهة.

• متل عامود صرمدا: المقصود وقفت بلا حول ولا قوة. والاسم الأصلي هو عمود سرمدا؛ وهو نصب تاريخي في قرية سرمدا التابعة لمنطقة حارم الأثرية في إدلب.

• بروك: اجلس.

*مخرج مسرحي . بيروت

حقوق المرأة وحقوق الانسان

د. مارية العبدة

يدعو بعض الكتّاب إلى النظر في قضية المرأة بمنطقتنا العربية من زاويا مغايرة أو مختلفة، ومنها طرح أنّ مشكلة المرأة غير قابلة للفصل عن قضيّة الإنسان المقهور، وهذا أمر لا شك فيه. ولكن يذهب بعض الكتّاب إلى القول بأنّ حصول المرأة على حقوقها هو أمر منوطٌ بحصول الرجل على حقوقه ونتيجة طبيعية لذلك، وعليه لا داعي للمطالبة بحقوق خاصّة بالنساء.

من الأكيد أنّ قضيّة المرأة هي جزء أساسيّ من قضيّة الإنسان ولا يمكن فصل حقوق المرأة عن حقوق الإنسان، ولذلك لا يمكن اعتبار نظام إجرامي يدعم حق المرأة بالمشاركة السياسيّة، سواء بالانتخاب أو الترشّح، نظاماً مناصراً للمرأة، وقد وقعت العديد من المدافعات عن حقوق المرأة السوريات في هذا المطب.

من جهة أخرى لا بُدّ من أن نتذكّر حين نتبنّى قضيّة تلازم حقوق المرأة والإنسان، أن نتبناها بالاتجاهين؛ بمعنى أنه يجب أن ندرك أنّ منع أي حق من حقوق الإنسان عن المرأة لكونها امرأة هو انتهاك لحقوق الإنسان.. وهنا يأتي الجزء الصعب. هل سندافع عن حق المرأة بالترشّح والانتخاب في المناطق التي مُنِعَتْ منها؟ هل سندافع عن حقّها بالوصاية على أطفالها أو منحهم هويّتها؟ هل سنعتبر ذلك انتهاكاً لحقها الإنساني ونكتفي بحصول الرجل على هذه الحقوق؟ أو نعتبرها مرحلة أخرى، وكأنّه يجب أن يأخذ الرجال حقوقهم بداية لتحصل المرأة على حقها لاحقاً؟! وألا يمكن للاثنين الحصول على حقوقهما سويّة؟

مع أنّ التاريخ العربي والإسلامي يذخر بأمثلة لنساء قمن وطالبن بحقوقهنّ بشكلٍ واضح وصريح بأمور خاصّة بهنّ، ربما لا تمتلك نساء اليوم الجرأة على الخوض فيها، كـ"خولة بنت ثعلب الخزرجية" التي ذهبت لتجادل الرسول (ص) عن حقّها الذي حرمها زوجها منه حين ظاهرها، وبقيت تجالده حتى نزلت الآية الكريمة التي خلدت الحادثة، وحكمت بقسوة على مرتكبي فعل الظهار، ووصفت قولهم بالمنكر والزور:

"قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير [1] الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إنّ أمهاتهم إلاّ اللائي ولدنهم وإنهّم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإنّ الله لَعَفُوٌ غفور" [سورة المجادلة:2-1]. لم توبّخ خولة على مطالبتها بحقها، بل بقيت قصتها محفوظة في القرآن الكريم لتكون نموذجاً يُحتذى.

حتّى في حالة الحقوق المتساوية، لم تقبل السيدة "أم سلمة" أن يتم تضمين النساء في القرآن الكريم ضمن خطاب موجّه للرجال، ولو أنّ جمع المذكر يشمل المذكر والمؤنث في اللغة العربية، وأتت تشتكي لرسول الله (ص): (يا رسول الله: يذكر الرجال ولا نُذكر). فنزلت آيات خاصّة تذكر المؤمنين والمؤمنات، ومختلف صفاتهم بصيغتي المذكر والمؤنث؛ "إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات.." [سورة الأحزاب:35].

بناءً على هذا التاريخ الإسلامي، نشطت حديثاً العديد من الحركات النسويّة الإسلاميّة المعاصرة، خاصّة في المغرب العربي، والتي تهتم بقضايا نسائيّة ونسويّة، وتعمل هذه الحركات على إيجاد حلول لهذه القضايا من زاوية مرجعيتهن الدينية، وتلاقي أولئك النساء بالغالب هجوماً من مختلف الأطراف الدينيّة وغير الدينيّة؛ إذ تتهمهنّ الأطراف الدينيّة التقليديّة بالعمالة لبحثهنّ عن حقوق خاصّة بهنّ، و لطرح أسئلة غير مريحة، في حين تتهمهنّ الأطراف غير الدينيّة بالتخلّف بسبب البحث عن التحرّر من خلال الدين!

إنّ عدم التقبّل للمطالب والمراجعات النسائيّة هو أمر شائع في كل المجتمات، فهناك أمثلة كثيرة عن حركات نسائيّة حوربت بسبب مطالبتها بحقوقها، وهي ضمن مجموعة مضطهدة طبقيّاً، عرقيّاً أو دينيّاً. لعلّ أبرزها هو نضال النساء السود في الولايات المتحدة ضدّ القوانين التمييزيّة ضدّ السود والنساء في الخميسنيات والستينيات من القرن الماضي؛ حيث كان الرجال السود يتهمون النساء اللواتي يطالبن بحقوقهن بالخيانة للقضية السوداء، وتشويه صورة الرجل الأسود، لكن في الحقيقة هؤلاء النسوة حملن القضية السوداء ضمن ملف حقوقي أكبر وأعم هو ملف حقوق الإنسان والحقوق المدنيّة.

تذكر إحدى المؤرّخات أنّ بعض مركبات القطارات كانت تحمل عبارات: "ممنوع ركوب النساء والسود" فكانت النساء السود ممنوعات مرتين، ولذلك كان لا بُدّ لهنّ من خوض معركة تحرّر واحدة كامرأة سوداء، ولم يكن هناك مجال لفصل القضيتين عن بعضهن البعض، فالحق لا يُجزّأ بوجهة نظرهنّ، و بذلك قدن نضالاً تحرّرياً مُتعدّد الطبقات.

هكذا أصبحت الشابة السوداء "روزا بارك" أيقونة للكرامة والنضال ضدّ القوانين التمييزيّة في الولايات المتحدة بعد مخالفتها القانون التمييزي ورفضها الوقوف لرجل أبيض ليجلس مكانها في الباص عام 1955. كانت "روزا" إحدى المتمرّدات اللواتي خالفنّ عادات وتقاليد المجتمع التمييزي الذي وجدت نفسها فيه.

للنساء المظلومات مرتين حق برفع أصواتهنّ مرتين وأكثر، وحقوق المرأة هي جزء أساسيّ من حقوق الإنسان؛ لا يستقيم أحدهما دون الآخر. وبالتأكيد، الرجل ليس خصماً للمرأة، ولكن بالتأكيد أيضاً فإنّ المرأة ليست تابعاً للرجل. كلاهما فاعل ومسؤول عن مصيره، ولابُدّ لهما من العمل معاً لبناء مجتمع ودولة مؤسّساتيّة ديمقراطية تصون حقوق الجميع.

بورتريه:

ثريا الحافظ
رائدة وطنيّة ونسويّة

المحامية منى أسعد

ولدت "ثريا الحافظ" في دمشق عام 1911، وتيتّمت وهي في الخامسة من عمرها، إثرّ إعدام الأتراك والدها الشهيد الأميرالاي أمين لطفي الحافظ، مع مجموعة "الأحرار العرب" في 6 أيار 1916. نشأت ثريا يتيمة في كنف أمها ورعاية عمها الأمير مصطفى الشهابي، وورثت مقارعة المُستَعمر باكراً وهي لا تزال طالبة في "دار المعلمات"، إذ شاركت في أوّل مظاهرة نسائيّة خرجت تندّد بالانتداب الفرنسي عام 1928. فيما بعد شاركت في العمل العسكري، فحملت السلاح وأسعفت المصابين ومرّضت الجرحى وأغاثت الثكالى ورعت أطفال الشهداء. كما شاركت عام 1929 في أوّل مظاهرة نسائيّة سورية، خرجت لتشجّيع الناخبين على اختيار ممثليهم من قائمة "الكتلة الوطنيّة" المؤلّفة من فوزي الغزي وفارس الخوري وسعد الله الجابري وهاشم الأتاسي.

بعد تخرّجها من "دار المعلمات" عام 1928، عملت ثريا مدرّسة للأدب العربي، ثم مديرة في مدارس دمشق، وتزوّجت من الصحفي والكاتب منير الريس رئيس تحرير جريدة "بردى" التي صدرت أواخر الأربعينيات واستمرّت حتى مطلع الستينيات. وقد كان لعملها في مجال التعليم ودعم زوجها "الريس لها الدور البارز في تحديد أطر نضالاتها؛ إذ ومن خلال عملها عايشت ثريا الحافظ معاناة وضعف وعجز المرأة في المجتمع الذكوري المتخلّف، وتلمّست أوجاعها، فسكنها هاجس ضرورة تغيير هذا الواقع، عبر النهوض بمستوى المرأة والرجل معاً، وبالتالي النهوض بالمجتمع ككل. فعمدت طيلة حياتها وبكل ما أوتيت من قوة، إلى صياغة واقع جديد للمرأة، سواء عبر الأحاديث الإذاعيّة والمقالات الصحفيّة والمحاضرات الأدبيّة في الأندية الثقافيّة، أو عبر العمل في الجمعيات الخيريّة والثقافيّة والنهضويّة التي أسّستها، أو ساهمت في تأسّيسها.

تُعدُّ جمعيّة "خريجات دار المعلمات"، التي أسّستها ثريا الحافظ عام 1929 من أوئل الجمعيات النسائيّة الشعبية السورية المعنية بتوعية المرأة السورية بقدراتها، وتعريفها بإمكاناتها والأخذ بيدها لتقوم بدورها في الحياة والمجتمع، إذ لم يسبق أن عرفت سوريا في تلك الحقبة إلاّ جمعية أسّسها الفرنسيون في سوريا، وأخرى للطبقة الحاكمة المرتبطة بالاستعمار الفرنسي،

فيما ضمّت جمعية "خريجات دار المعلمات" ألمع الوجوه النسائيّة السورية لتلك المرحلة.

وزاوجت الحافظ بين نضالاتها الوطنيّة وبين نشاطاتها الاجتماعيّة لخدمة المرأة وتطوير قدراتها والتعريف بحقوقها، فأسهمت عام 1943 بتأسيس "جامعة نساء العرب القوميات" للمطالبة بحق المرأة في المساهمة بالحياة السياسيّة.

وبهدف الاهتمام ببنات الشهداء وتقديم الرعاية والتعليم والتوجيه لهنّ، ومساعدتهنّ على الاعتماد على أنفسهن، وتمكينهنّ من القيام بدور منتج في المجتمع، أسّست الحافظ عام 1945 جمعية "دار كفالة الفتاة" التي ابتدأت أعمالها برعاية عشرين فتاة، واستمرّت حتى عام 1965، وقد بلغ عدد طالباتها عند إغلاقها 400 طالبة. كما أسهمت عام 1956، بتأسيس جمعية "رعاية الجندي السوري عند الحدود" وجمعيات أخرى مثل "جمعية نقطة الحليب" و"جمعية الفنون".

لم تهمل الحافظ تلك النسوة اللواتي فاتهنّ قطار التعلم، وكنّ يشكلن الغالبية العظمى من مجموع السكان، فعمدت منذ 1918 إلى تعليم الأميات مبادئ القراءة والكتابة، كخطوة أولى في محاربة الجهل ونشر العلم والمعرفة، وبذلك عُدّت ثريا الحافظ من أوائل العاملات في محو الأميّة.

أقامت السيدة الحافظ عام 1946 بالتعاون مع السيدة زهراء العابد زوجة رئيس الجمهورية السورية آنذاك، صالونها الأدبي "حلقة الزهراء الأدبية" الذي ضمّ العديد من الشخصيات الأدبيّة والسياسيّة. حتى كان يوم 26/12/1953 حيث أُشهر "صالون سكينة الأدبي"، بعد مضي عام على افتتاحه، والذي اعتبرته الراحلة من أهم انجازاتها في خدمة الثقافة والأدب. لعب "صالون سكينة الأدبي" دوراً مُتميّزاً في الحياة الثقافيّة والأدبيّة والسياسيّة من خلال شخصياته المعروفة بمواقفها وتأثيرها في المجتمع، أمثال: خليل مردم بك والأمير مصطفى الشهابي وفخري البارودي وفؤاد الشايب وعبد السلام العجيلي وعزيزة هارون وألفة إدلبي وسامي الدهان وإبراهيم كيلاني وغيرهم كثر.

أوقف المنتدى عام 1963، فانتقلت السيدة الحافظ والمنتدى معها إلى مصر لتتابع نشاطها من هناك حتى عام 1970 حيث توقف المنتدى نهائياً.

تميّزت السيدة الحافظ ليس بالجرأة في طرح أفكارها فحسب، بل أيضاً، في الدفاع عنها. ففي معرض إيمانها بحق المرأة في المساهمة بالحياة السياسيّة، وحين منحت المرأة في سوريا حق الترشيح والانتخاب عام 1953 كانت ثريا الحافظ أوّل سيدة ترشّح نفسها لشغل مقعد نيابي، وهي تُدرك أنّ المجتمع السوري غير جاهز لإنجاح هذه الخطوة، لكنها لم تلبث أن نالت ثقة الناخبين إبّان الوحدة بين مصر وسوريا، إذ دخلت المجلس النيابي بعد حصولها على الترتيب الثاني في عدد الأصوات في منطقتها، وكانت عضواً في "الاتحاد القومي" الذي استمدّت منه أفكارها القوميّة.

توفّيت ثريا الحافظ في الثاني من شهر حزيران عام 2000، ودفنت في دمشق. مخلّفة وراءها إرثاً غنيّاً للمرأة العربيّة بشكل عام، وللسورية بشكل خاص. بالإضافة إلى كتابين: "حدث ذات يوم" وهو مجموعة قصصيّة إصدار دمشق عام 1961. تتضمّن قصصاً ومواقف نضاليّة عاشتها الراحلة نفسها. وكتاب "الحافظيّات" الذي صدر عام 1979، ويتضمّن سلسلة مقالات كتبتها حول أنشطتها ومواقفها وحوارات صالونها، وبعض المواقف الطريفة التي تعرّض لها مرتادوا الصالون.

النجاح بدأ مع نسرين من قرارها: سأبدأ من هنا ولن أعود مُجدّدا للوراء

بشرى البشوات

لم يكن ذلك قراراً صائباً، هكذا خمنتهُ، لكنه يستحق المجازفة. هذا الهروب إلى المجهول، هروبي المزدوج محفوف بالبرد والفقد والمخاطرة الكبيرة بالنسبة لامرأة وأمّ لثلاثة أطفال أصغرهم في الرابعة والنصف من عمره.

"نسرين. ش" الطبيبة السورية التي قدمت إلى الكويت بعقد عمل كاختصاصية في الامراض الصدرية تبدأ حديثها بالقول: "ظننت بأنني استطيع أن أحصل على راحة قلبي أخيراً، على الاقل أنا في دولة عربية، وبعد فترة قد أتمكن من احضار الأولاد، لكن يقيني لم يكن في محله).

إذ وفجأة قرّرت إدارة المشفى الذي تعمل به "نسرين" عدم تمديد عقد عملها, وأصبح متوجّباً عليها مغادرة الكويت. استطاعت "نسرين" الاختباء لشهرين أو أكثر في بيوت زميلات لها خاطرنّ بفتح المجال لها لسرقة الوقت ريثما أو ربما لتتمكّن من أخذ موافقة كفيل جديد الأمر الذي يؤّمن بقائها في الكويت، أو بانتظار قانون جديد يصدر عن "مجلس الأمّة الكويتي" قد يُغيّر وضعها وأوضاع أمثالها ومثيلاتها من الوافدين للعمل, لكن- طبعاً- ذلك لم يحدث.

طوال هذا الوقت لم تفكر "نسرين" ولو للحظة بالعودة إلى سورية، وفي المقابل قرّرت الخوض في مغامرة جديدة. تقول: (زوجٌ في دمشق وثلاثة أبناء، ولا أستطيع العودة إلى سورية بعد استصدار مذكرة توقيف بحقي بسبب نشاطي المؤيّد للثورة في ضيعتي في بداية الثورة). وتتابع: (تركت في دمشق زوجي وأولادي ، يعمل زوجي مُدرّساً في أحدى ثانويات دمشق، لذلك قلت سأبدأ من هنا ولن أعود مُجدّدا للوراء).

استطاعت "نسرين" في الكويت تأمين أمورها بما يكفي لتصل إلى تركيا. ثمّ انطلقت مع مجموعة من العائلات السورية من هناك بالطائرة إلى البرازيل، حيث قضت في مدينة "كوبا بالا" إسبوعاً كاملاً لتعود وتتابع رحلتها منه إلى مدينة "ساو باولو"، ومن مطار داخلي في هذه المدينة غادرت "نسرين" مع عائلة سورية أخرى إلى "السلفادور".

تقول "نسرين" عن هذه المرحلة من رحلتها: (هنا شاهدت ما لم أشاهده سابقاً، وشكّل أكثر أيام حياتي رُعباً وغرابة ، شاهدت مدينة مسكونة بالمجرمين والمُشرّدين واللصوص).

من مطار السلفادور طارت "نسرين" إلى إسبانيا، ووصلت العاصمة "مدريد" التي قضت في فندق صغير فيها ست ساعات لا أكثر، من السادسة مساءً حتى الثانية عشرة ليلاً، حين انطلقت إلى وجهة الرحلة الرئيسيّة "برلين"، العاصمة الألمانيّة.

(سافرتُ من مدريد إلى برلين، طبعاً خلال كلّ هذه الرحلات كنت قد استدنت مبالغ كبيرة من المال، وساعدني أخوتي بجزء منها، حين وصلت محطة "قطارات برلين الرئيسيّة" طلبت من أحدهم أن يقطع لي بطاقة في القطار إلى مدينة "إيسن" حيث سألتقي هناك بأقاربي).

رغم صعوباتها لم تخل رحلة "نسرين" ممّا اعتبرته طرائف، وتقول عن أظرفها: (أطرف ما حدث معي أنني حين أردت التخلّص من جواز سفري لم استطع أن أرميه هكذا بالطريق، فكل الشوارع نظيفة وأنيقة. لذلك قمت بتقطيعه ووضعته في جيبي، وبينما كنت أمشي كنت أرمي ورقة في كل حاوية للقمامة أجدها).

في مدينة "إيسن" تمّ تحويل "نسرين" إلى أحد المخيمات المُخصّصة للاجئين, وكانت قد احتفظت ب (فلاشة) نسخت عليها صورة هويتها الشخصيّة وأوراق ثبوتيّة أخرى. في المخيم كان الوضع مأساويّاً، واضطرّت "نسرين" ولاجئون آخرون إلى الانتظار من منتصف الليل حتى السادسة صباحاً قبل أن يُسمح لهم بالدخول. تقول "نسرين" بقهر: (نقعنا خارجاً في البرد ومع درجة حرارة تقارب الصفر).

بعد 26 يوماً قضتها "نسرين" في المخيم جاء الفرز، وحصلت على إقامتها في آذار 2015، لتبدأ برسم وعيش تفاصيل حياتها الجديدة، فسجّلت في أوّل دورات تعلّم اللغة الألمانيّة في آيار 2015 وانهت المستوى الإجباري الأساسيّ (B1) في تشرين 2015، في نفس الوقت الذي وصلت به عائلتها إلى ألمانيا بعد أن تمّت الموافقة على طلب "لمّ الشمل" الذي تقدّمت به "نسرين"، لكن في هذه الأثناء تعرّضت "نسرين" لأزمة صحيّة اضطرّتها لإجراء عمليّة دسك في الرقبة، خلال فترة النقاهة تابعت دراستها وتقدّمت لامتحان المستوى الثاني في اللغة (B2) ونجحت فيه.

خطوة "نسرين" الثالثة في حياتها الجديدة كانت بتعديل شهادتها, فقامت بمراسلة أصدقائها في الكويت الذي أرسلوا شهادتها إلى اخوتها في دمشق، وقام أحد أخوتها بتصديق الشهادات وترجمتها وارسالها إليها. فاتصلت بمعهد "ننبورغ الطبي" لإجراء دورة طبيّة، لكن المعهد اعتذر. لاحقاً نجحت "نسرين" بالالتحاق بدورة تدريبيّة من نيسان 2016 حتى أيلول من العام ذاته، وحصلت على شهادة القيادة في العام نفسه كذلك.

بعد أن تقدّمت لثلاث مقابلات عمل، تمّ الاعتذار عن اثنتين منهما، قبلت "نسرين" في مشفى " würzburg" لفترة تجريبيّة مدة شهر، ثمّ استلمت عملاً ثابتاً في بداية 2017، وحاليّاً تعمل "نسرين" رئيسة لقسم الأمراض الصدرية في المشفى.

تقول "نسرين": (يقوم رئيسي المباشر بدعمي بشكل كبير، أعاني أحياناً من مشاكل اللغة المحكية التي يستخدمها زملائي الألمان أحيانا لكنني أسير بخطوات جيدة).

نسرين جازفت واستحقت هذه المجازفة هذا النجاح .

مُدن وبلدات سورية يُطرد منها تنظيم "الدولة الإسّلامية"

كمال شيخو

على الرغم من الخسائر التي مُني بها تنظيم "الدولة الإسلامية" في الريف الشمالي لمدينة حلب وريف محافظة الرقة، وطرد مقاتليه من مُدن وبلدات سورية عديدة، كشف محللون وخبراء في الأمن والدفاع بمؤسسة " IHS Markit" لمتابعة الصراعات، أن التنظيم لم يخسر إلّا ثلث الأراضي التي كان يسيطر عليها؛ مقارنةً مع تلك المساحات التي امتدّ نفوذه إليها بعد إعلانه ما سمّي وقتذاك بـ "الخلافة الإسلامية" في 29 حزيران/ يونيو 2014.

وذكرت المؤسسة الدولية في آخر تقرير صدر عنها بتاريخ 18 من شهر كانون الأول/ يناير الفائت، أنّ التنظيم: "مُني العام الماضي بخسائر غير مسبوقة في الأراضي، بما في ذلك مناطق رئيسية وحيوية لمشروع الحكم الخاص به".

بلدة دابق التاريخية

وقال "كولومب ستراك" مدير المؤسسة البحثية في تصريحات صحفية، إنّ التنظيم: "نجح رغم هذه الخسائر باستعادة مدينة تدمر الأثرية، بالتزامن مع استعادة النظام السوري السيطرة على مدينة حلب".

وعاد مسلحو التنظيم ليسيطروا مرة ثانية على مدينة تدمر الصحراوية في 12 كانون الأول/ ديسمبر العام الماضي، فيما كانوا قد استولوا عليها أول مرة بتاريخ 21 أيّار/ مايو 2015.

واستعادت فصائل "درع الفرات" في 15 تشرين الأوّل/ أكتوبر العام الماضي، السيطرة على بلدة دابق التي تبعد حوالي 10 كيلومترات عن الحدود التركيّة، وكانت تحمل دلالة رمزيّة وتاريخية لدى عناصر التنظيم، إذ أطلقوا اسمها على مجلتهم الصادرة باللغة الإنكليزيّة.

وكان الجيش التركي قد أطلق عمليّة "درع الفرات" في 24 آب/ أغسطس العام الماضي، بهدف تنظيف المنطقة الحدوديّة من الطرف السوري من عناصر "تنظيم الدولة"، ومنع تقدّم المقاتلين الأكراد، وربط مناطق نفوذهم الواقعة بين شرق نهر الفرات وغربه.

وأوضح العقيد هيثم العفيسي قائد "اللواء 51" وهو ضابط في غرفة عمليات "درع الفرات" إنّ "الهدف الرئيسي من الحملة إنشاء منطقة آمنة في الشمال السوري".

جرابلس والراعي

وذكر العفيسي أنّ الوجهة التالية للحملة العسكرية هي مدينة الباب، وتعدّ آخر جيب بيد مقاتلي التنظيم في ريف حلب.

ولدى لقائه مع مجلة "طلعنا عالحرية" قال العقيد العفيسي: "نعمل على إنشاء منطقة آمنة مساحتها 5 آلاف كيلومتر مربّع بمحاذاة الحدود التركيّة"، مضيفاً: "ليتمكن أهلنا المهجّرين والنازحين من العودة إلى منطقة سوريّة آمنة خالية من التنظيمات الإرهابيّة".

وتمكّنت فصائل "درع الفرات" من انتزاع أبرز معاقل التنظيم من على الحدود السوريّة- التركيّة، باستيلائها على بلدة الراعي الحدوديّة في 27 آب/ أغسطس العام الماضي، وسيطرت على مدينة جرابلس في 24 من الشهر نفسه، وكانت ترزح تحت حكم التنظيم منذ كانون الثاني/ يناير 2014.

وقبل عام ونصف كان يسيطر التنظيم على نصف مساحة سوريا. وقد شكّل سبع ولايات داخل مناطق سيطرته وهي: ولاية الرقّة وولاية حلب، إضافةً إلى ولاية البركة والمقصود بها محافظة الحسكة، أما ولاية الفرات فكان يقصد بها محافظة دير الزور، بالإضافة إلى ولايات دمشق وحماة وحمص.

ووفقاً لبيانات مؤسسة " IHS Markit" فإنّ التنظيم فقد 23% من أراضيه خلال 2016، بينما خسر في 2015 حوالي 14% فقط.

كوباني ومنبج وتل أبيض

وتمكّنت قوّات "سوريا الديمقراطيّة" من انتزاع مدينة منبج بريف حلب الشرقيّ، في 13 آب/ أغسطس العام الماضي، من قبضة مقاتلي التنظيم المتشدّد.

وذكر رئيس إدارة منبج الشيخ فاروق الماشي في لقائه مع مجلة "طلعنا عالحرية" أنّ: "منبج كانت عصيّة على كلّ المحتلّين، بمن فيهم تنظيم داعش والفكر الإرهابيّ"، منوهاً إنها مدينة الثقافة والشعر والشعراء "حيث عاش فيها الشاعر عمر أبو ريشة والبحتري، ولهذا تكنّى بمدينة البحتري، وتولّى إمارتها إبّان عهد الدولة الحمدانيّة الشاعر الأمير أبو فراس الحمداني".

أمّا في شمال شرق سوريا، فقد طردت قوّات "سورية الديمقراطيّة" عناصر التنظيم من بلدة الشدادي

في جنوب محافظة الحسكة في 19 شباط/ فبراير من العام الماضي، وقبلها بلدة الهول في 13 تشرين الثاني/ نوفمبر 2015.

وانتزعت هذه القوّات مدينة تلّ أبيض الحدوديّة التابعة لمحافظة الرقّة في 15 حزيران/ يونيو 2015، كما طردت "وحدات حماية الشعب" الكرديّة وتشكل العماد العسكري لقوات "سورية الديمقراطية"، عناصر التنظيم من مدينة كوباني/ عين العرب في 26 شباط/ فبراير 2015.

مصادر التمويل:

ويعزو الكاتب منصور العمري توسّع نفوذ تنظيم "الدولة الإسّلامية" في سوريا لعوامل عدّة. وشرح في تصريحه لـ "طلعنا عالحرية"، أهمّها: "انسحاب الجيش النظاميّ من نقاط عسكريّة استراتيجيّة كثيرة تضمّ مخازن أسلحة وذخائر، مثل مطار الطبقة العسكريّ بالرقة"، مضيفاً: "تنظيم داعش سيطر على أراضٍ في سوريا والعراق منذ صيف 2014، أي ما يعادل مساحة المملكة المتّحدة البريطانية".

واستخلص العمري مصادر تمويله التي يستمد منها، وذكر أنّ: "تجارة النفط إثر سيطرته على منابعه في شرق سوريا، إضافة إلى أموال الرهائن التي تلقّاها من حكومات أوروبيّة، والتمويل المباشر من أفراد في دول الخليج وغيرها من دول العالم، كل ذلك أسهم في قوّة التنظيم الماليّة".

ومع قرب حسم التحالف الدوليّ معركة الموصل في شمال العراق، تتّجه الأنظار إلى معركة الرقّة والتي حوّلها التنظيم إلى عاصمته الافتراضية، ويشير "كولومب ستراك" مدير مؤسسة "IHS Markit" أنّ: "الرقة تمثل قلب التنظيم لذلك لن يتركها بدون قتال، واستعادتها تتطلب تدخلاً برياً كبيراً".

بين مطرقة حرس الحدود التركي وسندان ابتزاز المهرّبين

محمد هشام

ليس إمعاناً في جلد ونقد السياسة التركية في التعاطي مع المتهربين والفارين من انسداد الأفق في سوريا، ولا لوماً لأولئك المتهربين الباحثين عن فرص أفضل للعيش والدراسة في مدن وولايات تركيا، وإنما تسليطاً للضوء على قضية مؤلمة لا تزال تشكل هاجس ألم ومعاناة للكثيرين، وتخلفُ من ورائها عشرات القصص من سيناريوهات السرقة والأمراض وضياع الأوراق الشخصية، وإقامة اللاجئين في ظروف صعبة جداً في بيوت المهربين عدة أيام، قبل أن يجتازوا الحدود السورية التركية ويحملوا اسم اللاجئين.

طلعنا عالحرية قامت بجولة على المهربين، والعديد من الأشخاص الذين خذلهم الحظ، فأُلقي القبض عليهم أو عادوا دون أن يتمكنوا من الاجتياز، وآخرين ممن حالفهم الحظ وتمكنوا من العبور دون أن يُلقي جنود الحرس التركي (الجندرما) القبض عليهم، ويعيدوهم إلى سوريا من معبر باب الهوى بعد وضعهم عدة ساعات في المخفر التركي في ظروف سيئة ومُخزية.

"عبر علاقاتي وأصدقائي، يتواصل معي أكثر من 200 شخصاً كل يوم، عوائل بأكملها وأفراد يريدون العبور إلى تركيا" قال "عبدو ناجي" أحد الأسماء اللامعة العاملة بقطاع التهريب في بلدة طول لاها الواقعة على الحدود السورية التركيا في محافظة إدلب، وتابع: "نقوم بجمعهم في منزل من طابقين، غير مكسي أو مفروش بالطبع، هناك بعض البطانيات، بإمكانهم استخدامها كغطاء. وبإمكانهم أن يذهبوا ويشتروا أطعمتهم ومستلزماتهم عند الحاجة، أسفل المنزل هناك مرحاض، وبجانبه برميل ماء، كل ما يريدونه متوافر في المنزل"!

لم يكن "جمعة علي" الاسم اللامع في التهريب في بلدة حارم، أحسن حالاً من ناجي في عدم شعوره بالاستياء أو الحرج

خلال وصفه ظروف المنزل الذي يجمع به النساء والأطفال والرجال قبل أن يحاول اجتياز الحدود بهم. فالمنزل الذي يستخدمه جمعة لأغراض شبيهة لا يقل سوءاً عن منزل عبدو.. إلا أنه كان لدى جمعة تفسيرٌ لذلك: "لمَ علي أن أهتمَ بظروف المنزل أكثر؟ إذا كانوا لن يقيموا في هذا المنزل أكثر من ليلتين أو ثلاث، و بحد أقصى أسبوع قبل أن أجتاز بهم الحدود؟".

"ملاك الغضبان" إحدى الناجيات من جحيم حلب، ووصلت إلى تركيا مع والدتها وشقيقاتها بعد معاناة طويلة على الحدود وإجراءات المهربين، عبرت عن تجربتها مع المهربين: "لن تكون هناك معاملة أسوأ من المعاملة التي تلقيناها من النظام وميليشياته خلال خروجنا من حلب، بعدها بتنا نتقبل كل معاناة مهينة من غيره مهما بلغت، مقابل تحصيل الحياة".

رأيها لم يكن بعيداً عن رأي "محمد" أحد الذين لم ييأسوا من فشلهم في عبور الحدود التركية، واستمر يحاول طوال عشرة أيام متتالية مع مختلف المهربين، إلى أن تمكن أخيراً بعد معاناة شديدة، وليالٍ قضاها في الوحل والثلج والطين، مع ثمانية وعشرين شخصاً آخرين، جلّهم من النساء والأطفال وكبار السنّ في اجتياز الحدود:

"أنت بين مطرقة المهربين وسندان حرس الحدود التركي؛ الأول لا يتوانى عن الصراخ في وجهك وابتزازك بالمال، والثاني لا يتوانى عن إهانتك وسجنك عندما يلقي القبض عليك، ملقياً بمعاناتك وفراك من الجحيم السوري عرض الحائط.. خلال الطريق ستفضلُ تحمل الابتزاز وسوء أخلاق المهرب مقابل وصولك بأمان إلى الأراضي التركية".

من جهتها "آمنة" تحدثت عن صعوبات الطريق قائلة: "حاولت العبور إلى تركيا عبر قرية خربة الجوز، كان الجو ماطراً، وسماكة الوحل نصف متر والطريق جبلية، وعليك أن تجتاز نهراً يغمرك حتى فخذيك.. مشينا عدة ساعات على الرغم من أن المهرب أخبرنا بأننا لا نمشي أكثر من ساعة، كنا ثلاثين شخصاً، أطفال ونساء وشباب، انزلقنا على الوحل عدة مرات، وأصبنا بجروح، بعض الطرقات كانت بزاوية 60 درجة صعوداً، علقت أحذيتنا بالوحل، وأكملنا طريقنا حفاة وسط برد قارس ومطر بلّل كل ما نحمله، مما دفعنا للتخلي عن الكثير من أشيائنا بعد اتساخها وتمزقها، ولدى وصولنا للحدود كنا قد استغرقنا أكثر من خمس ساعات من منتصف الليل وحتى الخامسة صباحاً".

محمد، باعتباره خبيراً بمحاولات التهريب والمهربين، تحدث عن التكلفة المالية للوصول إلى تركيا قائلاً: "سيخبرك المهرب السوري أنه يتعامل مع مهرب تركي، وأنه يتعامل مع حرس الحدود، ولذا سيطالبك بمبلغ يتراوح بين 250$ و 450$، وغالباً ستكتشف أن 800% مما يقوله مجرد كذب، وأنك ستقفز فوق جدران، وتتنصل من أسلاك شائكة، وتجري طويلاً كي لا يتم إلقاء القبض عليك. وأن شخصاً سورياً آخر من تجار الأزمات هو من ينتظرك في الجانب التركي ليقلّك إلى منزل لا يقل سوءاً عن المنزل الذي أقمت فيه على الجانب السوري، هناك ستتفاجأ بأنه يطالبك بمبلغ إضافي من المال قيمته بين 50$ و100$، وأنه من صلب الاتفاق، ستحاول أن تبدو قوياً وأن لا ترضخ له، لكن مع جهلك بالظروف المحيطة، وتحت تلميحاته بتسليمك لحرس الحدود التركي، ولكونك وحيداً، ستضعُف وتعطيه ما يريد، وأنت تستذكر القصص التي رواها لك أشخاص فشلوا في اجتياز الحدود وألقت الجندرما القبض عليهم كيف تلقوا معاملة سيئة، وسلب بعض حرس الحدود أموالهم وهواتفهم النقالة، وأعادوهم إلى سوريا من معبر باب الهوى، بعد تصويرهم وتوقيعهم على أوراق لم يفهموا محتواها غالباً"!

لعل معاناة السوريين لدى عبورهم إلى تركيا لا تضيف شيئاً جديداً على قائمة معاناتهم الممتدة على شتى الجوانب، ولعله من غير الممكن لومُهم على هجرتهم ولجوئهم للمهربين، إلا أن سياسة المهربين بالابتزاز والظروف السيئة التي يجبرون من يلجأ إليهم على معايشتها تُعدّ ظاهرة مستفزة، تستحق الوقوف عندها، وتحمّل من يقفون موقف المسؤولية من الجهات الأمنية للفصائل مهمة كبيرة في وضع حدّ لهذه التجاوزات الأخلاقية، وتطبيق نظام عقوبات بحق هؤلاء المهربين إزاء تجاوزاتهم الأخلاقية وسلوكياتهم.

مشروع بحثي في تركيا لدعم الشركات السورية

أطلق #المنتدى_الاقتصادي_السوري مشروع بحثه الميداني الجديد لدراسة واقع الشركات السورية المسجلة في تركيا، والفاعلة على مستوى النشاط التجاري؛ وذلك لتحديد المشاكل والصعوبات التي تواجههم، وما هي برامج الدعم التي يحتاجونها.

ويدعو المنتدى رجال الأعمال من السوريين في كل من مدينتي اسطنبول وغازي عنتاب الراغبين بالمشاركة بهذا البرنامج لتعبئة نموذج طلب المشاركة الذي يمكن الوصول إليه من خلال الضغط على الرابط التالي:

https://goo.gl/HdGFe5

وعد المنتدى بإصدار أول دليل إلكتروني للشركات السورية في تركيا، رغبةً منهم ببناء قاعدة بيانات وتشبيك قطاع الأعمال السوري في تركيا مع باقي الشبكات التجارية الإقليمية والعالمية.

للاطلاع على تفاصيل برنامج دعم الشركات الصغيرة والمتوسطة للسوريين في تركيا، اضغط على الرابط أدناه

https://goo.gl/1mQOYG

ما هو المنتدى الاقتصادي السوري؟

بحسب تعريفهم على موقعهم syrianef.org

المُنتدى الاقتصادي السوري هو مُؤسّسةٌ فكرية بحثية ابتكارية، تُكرّس عملها لبناء وطن حُرٍّ، تَعدّدي ومُستقل يعتمد على اقتصاد قوي يهدف إلى ضمان تحقيق حياة حُرّة وكريمة للسوريين كافةً.

يسعى المنتدى للعمل كمصدر للمعلومات لجميع المسائل ذات العلاقة بالاقتصاد السوري، وإجراء أبحاث اقتصادية ونشر تقارير علمية.

يقود المنتدى الاقتصادي السوري 133 عضواً من أعضاء مجلس الإدارة، ويترأس المجلس أيمن الطبّاع، إلى جانب كل من تمام البارودي وريم علاف وهند قبوات ورياض سيف كعضو شرف، بالإضافة إلى عدد من رجال الأعمال الأعضاء المقيمين داخل سوريا.

ينشط المنتدى ضمن مدينة غازي عنتاب التركية، ويقوم بعدة نشاطات، حيث أطلق مؤخراً مشروع (رخصتي) بهدف مساعدة

أصحاب الشركات من السوريين الموجودين في مدينة غازي عنتاب لترخيص شركاتهم بشكل رسمي، ووعد بتقديم منحة يتكفل فيها بكامل الرسوم المطلوبة للتسجيل لدى الحكومة التركية، في سبيل توعية المستثمرين وأصحاب الشركات بمدى أهمية الترخيص وما قد يوفر لهم من فرص ويبعد عنهم شبح الإغلاق لمخالفة القوانين.

يوجد في مدينة غازي عينتاب أكثر من ألف وخمسمئة نقطة بيع للسوريين، 32% منها فقط مرخص ويعمل بشكل قانوني.

بالتعاون مع عدد من المنظمات المحلية والدولية يبادر المنتدى إلى التركيز على بناء القدرات، والاهتمام في مجال ريادة الأعمال.

تقدير الأضرار في سوريا

وفقاً لتقدير أجراه البنك الدولي عن بُعد عن الأضرار في سوريا التي خلفها الصراع على البنية التحتية في ست مدن، هي حلب ودرعا وحماة وحمص وإدلب واللاذقية، حتى كانون الأول/ديسمبر 2014، ألحق الصراع أضراراً واسعة بالممتلكات العامة والخاصة تتراوح قيمتها ما بين 3.7 و 4.5 مليار دولار.

وكانت الأضرار التي تسبب بها الصراع في عام 2015 أكثر فداحة عن السنوات السابقة، وارتفعت تقديرات الأضرار في أحدث تقرير إلى ما بين 5.9 - 7.3 مليار دولار، وشهدت حلب وحدها نحو 60% من تكاليف الأضرار.

كما تُعد اللاذقية المدينة الأقل تأثراً، لكن تأثير الصراع عليها يظهر في زيادة الضغوط على مرافق البنية التحتية والخدمات جراء زيادة السكان الناجمة عن عمليات النزوح داخلياً. وفيما بين القطاعات، كان قطاع الإسكان الأكثر تضرراً على الإطلاق.

وتقتصر تلك الأرقام على الأضرار المتعلقة بتكلفة النزوح والتشرد بالأسعار السابقة للصراع في المدن الست، وستزيد احتياجات التعافي وإعادة الإعمار في المستقبل أضعافاً مضاعفة.

وقد أدى الصراع إلى سقوط الملايين في براثن البطالة وهوة الفقر.

وتذهب تقديرات المركز السوري لبحوث السياسات (SCPR) إلى أن أكثر من 60% من الأيدي العاملة (حوالي 3.5 مليون) باتت متعطلة عن العمل، وفقد نحو 3 ملايين وظائفهم نتيجة للصراع. وفي حين لم يجر البنك الدولي تقديرات لأوضاع الفقر في سوريا منذ عام 2007، يقدر المركز السوري لبحوث السياسات أن معدل الفقر الكلي بلغ 83% في عام 2014 (مقارنة بنسبة 12.4% في عام 2007).

اضطر الكثير من السوريين، بما في ذلك أطفال، للبحث عن عمل في القطاع غير

الرسمي للتعويض عن فقدان الدخل لأسرهم.

وتذهب التقديرات إلى أن ثلثي السوريين يعيشون في فقر مدقع، وغير قادرين على تلبية الاحتياجات الأساسية الغذائية وغير الغذائية. وتتمثل الأسباب الرئيسية للفقر في فقدان الممتلكات والوظائف، وعدم التمكن من الحصول على الخدمات العامة، بما في ذلك خدمات الرعاية الصحية ومياه الشرب النظيفة، وارتفاع أسعار الغذاء.

وتعد معدلات الفقر الأعلى في المحافظات الأكثر تضرراً من الصراع، والتي كانت في السابق الأكثر فقراً في البلاد.

المصدر: البنك الدولي

المعلم الوطني النبيل حسين العودات.. الجائزة والكتاب

غسان ناصر -طلعنا عالحرية

في السابع من نيسان/ ابريل الماضي، خسرت سورية والعالم العربي معها، برحيل المناضل المفكر والكاتب والناشر وكبير الصحفيين السوريين، حسين العودات (رحمه الله)، رائدًا من رواد النهضة الحديثة والحداثة، وواحدًا من كبار نخبها الفكرية، وقامة مديدة من قامات الفكر والثقافة والإعلام، ممن حملوا في حياتهم، منذ مطالع الشباب وحتى الرمق الأخير هموم الوطن، وانشغلوا بقضاياه الصغيرة والكبيرة، والإيمان يملأ صدورهم بالأمل بأن إرادة المخلصين من أبناء الشعب السوري الثائر ضد الاستبداد والطغيان، قادرة على الوصول بسورية إلى شاطئ الأمان، وهي تنعم بالحرية والعدل والكرامة، رغم كل العواصف العاتية وأهوال الواقع المعاش.

وتقديرًا لمكانة ودور الراحل الكبير، أعلن مركز (حرمون) للدراسات المعاصرة بعد واحد وعشرين يومًا على وفاة صاحب "دار الأهالي للنشر" عن احداث جائزة سنوية للصحافة باللغة العربية، تحمل اسمه، أطلق عليها اسم "جائزة حسين العودات للصحافة العربية"، تقديرًا لـ"إسهامات العودات الكبيرة في العمل الصحفي على امتداد الخارطة العربية، ولأخلاقياته النبيلة التي أرساها في الإعلام العربي بشكل عام".

وقبل أيام، أعلن المركز وهو مؤسّسة سورية بحثية وثقافية وإعلامية مستقلة، مركزها الرئيسي في الوقت الحالي في مدينة غازي عنتاب التركية، عن موضوعات الجائزة للعام الجاري 2017، وحددها بثلاثة موضوعات أساسية هي: أولًا: "حزب الله". ثانيًا: "ثقافة احترام الرأي والاختلاف". ثالثًا:" المرأة السورية". وسيبدأ موقع المركز بتلقي الترشيحات والمشاركات خلال الفترة من 1 إلى 28 شباط/ فبراير المقبل.

وجدد المركز، التأكيد على أن الجائزة ستكون مفتوحة في دورتها الأولى للصحافيين والإعلاميين الشباب ما دون عمر 40 سنة فحسب، كما ستكون مقصورة على فئة مقالات الرأي، السياسية والثقافية والاجتماعية، على أن يُعلن اسم الفائز في 7 نيسان/ أبريل من كل عام، ذكرى رحيل العودات.

ومن شروط الاشتراك في الجائزة التي تبلغ قيمتها عشرة

آلاف دولار، وشهادة تقدير ودرع، والتي تشترط تقديم الصحافي المترشح للجائزة مقالة غير منشورة حول واحد من الموضوعات السابقة من أي زاوية يريد وبالطريقة التي يرغبها، إضافة إلى تقديم ثلاثة مقالات منشورة في صحيفة عربية، يومية أو أسبوعية أو دورية معروفة وذات صدقية، خلال الفترة من 1 أيار/ مايو إلى 31 كانون الأول/ ديسمبر 2016 بغض النظر عن موضوعاتها ونوعها.

وفي سياق إعلانه عن مواضيع هذه الجائزة، التي سيشرف على تحكيمها خبراء في الإعلام ومختصين في هذا المجال، أشار المركز إلى أنه سيطورها مستقبلًا لتشمل الفروع الأخرى، كالمقالات الاقتصادية والمقالات الاستقصائية والتحقيقات والحوارات الصحفية، إضافة إلى الإعلام المرئي والصورة والكاريكاتير وغيرها.

عن "رحلة القلق والألم" ..

العودات (طيب الله ثراه)، باق حضوره بيننا رغم الغياب الجسدي، بذكراه العطرة، وبتاريخه الحافل بمواسم العطاء الثقافي والفكري والإبداعي. وهو ما أكد عليه المفكر السوري فايز سارة، في تقديمه لكتاب أعده عن الراحل بعنوان: "حسين العودات رحلة القلق والألم.. مقالات وشهادات"، الصادر في العام 2016 عن "منشورات بيجز" في اسطنبول.

يحتوي الكتاب بين دفتيه مقالات وشهادات بأقلام من عرفوا الراحل، إضافة لمختارات من أعماله، وذلك لتسليط الضوء على موقعه الإنساني والقيادي في حركة النضال السوري، وعلى ما يمثله من وعي خاص حورب طويلًا، وبُذلت جهود مضنية للتعتيم عليه، نظرًا لما يمثله من خطر على مستقبل الاستبداد في بلاده.

ومما جاء على غلاف الكتاب الخارجي، "يحمل هذا الكتاب الذي يراد به تكريم الراحل (حسين العودات)، عنوان "رحلة القلق والألم"، وهي عبارة قد تلخص حياته على نحو من الأنحاء، لأنها كانت في أغلبها قلقًا على الواقع المعاش، وأملًا بالأفضل الذي سيأتي مستقبلًا. وقد تعزز الأمل لدى العودات بانطلاقة الثورة السورية عام 2011، حيث كان على يقين من أنها ثورة منتصرة مهما كانت التحديات، لأنها ثورة حق".

والحقيقة أني مثل كثيرين غيري، لا أعرف رجلًا أجمع عليه السوريون مثل حسين العودات. رجلٌ وطنيٌ نبيلٌ. وهو بالفعل كما جاء في الكتاب: "العودات نموذج للشخصية الصلبة التي دفعت أثمانًا باهظة لمواقفها إلى جانب إرادة الناس في التغيير، وحقهم في أن يعيشوا حياتهم ضمن مناخات طبيعية تضمن لهم الحرية والعدالة والمساواة".

وكان العودات قد شارك قبل اندلاع ثورة شعبه بست سنوات، مع عدد من النشطاء في تأسيس "لجان إحياء المجتمع المدني" في سورية، وأسهم بفعالية في ما عرف بـ«ربيع دمشق»، ثم مع آخرين عام 2005 في كتابة «إعلان دمشق للتغيير الديمقراطي»، وفي أيار/ مايو من نفس العام اعتقله الأمن السوري ثمانية أيام، إثر تخطيطه مع اثنين من رفاقه، لندوة حول "الإصلاح السياسي في سورية". غير أن بطش نظام الأسد لم يثنه عن مواصلة دربه النضالي فساهم في العام 2006، مع مجموعة من السياسيين والمثقفين اللبنانيين والسوريين، في كتابة «إعلان بيروت/دمشق ـ إعلان دمشق/بيروت».

والعودات، مجاز في الجغرافيا واللغة الفرنسية وحائز على دبلوم في الصحافة. وقد نشط لسنوات طويلة في إطار مؤسسات عربية مثل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو)، والمعهد العربي للدراسات الاستراتيجية، و اتحاد إذاعات الدول العربية.

أسس "دار الأهالي للنشر"، وكتب في كبريات الصحف والمجلات العربية، ونشر العديد من الأبحاه والكتب في مجال الفكر السياسي والتاريخ والإعلام، منها: "الموت في الديانات الشرقية"، و"وثائق فلسطين"، و"العرب النصارى"، و"المرأة العربية في الدين والمجتمع"، و"الآخر في الثقافة العربية"، و"النهضة والحداثة، بين الارتباك والإخفاق".

نشرة ثقافية

إبداعات ونشاطات سورية

طلعنا عالحرية – القسم الثقافي

"يوميات الحصار": أوراق سميرة الخليل بالإسبانية

تستعدّ "منشورات الشرق والمتوسط" في مدريد، لإطلاق الترجمة الإسبانية لكتاب "يوميات الحصار في دوما 2013" لـ سميرة الخليل، الصادر بالعربية في أيلول/ سبتمبر الماضي عن "المؤسسة العربية للدراسات والنشر". وفي الثاني من شباط/ فبراير يشارك سانتياغو ألبا ريكو (1960)، وهو مفكر وكاتب يساري إسباني يقيم في تونس منذ عشرين سنة، في تقديم الترجمة الإسبانية التي أنجزتها ناومي راميرث ديّاث، في ندوة ينظّمها "البيت العربي" في مدريد، بمناسبة صدور الكتاب. ويضمّ العمل الذي حرّره وقدّم له ياسين الحاج صالح شذرات ومذكرات ويوميات دوّنتها زميلتنا سميرة الخليل قبل نهاية العام 2013، تاريخ اختطافها ورفاقها رزان زيتونة ووائل حمادة وناظم حمادي في غوطة دمشق.

نصوص المجموعة تشكّل وثيقة هامّة عن الأوضاع في دوما والغوطة الشرقية في الفترة التي تلت المجزرة الكيماوية، إذ تحكي على لسان السكان المحاصرين عن القصف والجوع وعن القهر اليومي الذي يعانون منه.

ويشتمل الكتاب أيضًا على ثلاثة مقالات كتبها الحاج صالح عن شريكته سميرة الخليل تتناول في جوانب منها قضية اختطافها وتغييبها مع رفاقها.

هذا ويذكر أن "منشورات الشرق والمتوسط" تُعنى بآداب دول المتوسط والمنطقة العربية وجوارها، وقد قدّمت للمكتبة الإسبانية عشرات العناوين من اليونانية، والإيطالية، والفرنسية، والعربية، والفارسية، وغيرها.

وصول "مذبحة الفلاسفة" للسوري تيسير خلف للقائمة الطويلة للبوكر 2017

أعلن في العاصمة الاماراتية أبوظبي، الاثنين الموافق (16/ 1)، عن القائمة الطويلة للروايات المرشّحة لنيل الجائزة العالمية للرواية العربية لعام 2017، والتي تشتمل على 16 رواية صدرت أخيراً خلال الاثني عشر شهرًا الماضية، والتي تم اختيارها من بين 186 رواية ينتمي كتابها إلى 19 دولة عربية، من قبل لجنة تحكيم مكونة من خمسة أعضاء، برئاسة الروائية الفلسطينية سحر خليفة. وكان من بين قائمة الروائيين الستة عشر الذين وصلت أعمالهم إلى القائمة الطويلة، الروائي السوري تيسير خلف (المقيم في دبي)، عن روايته مذبحة الفلاسفة"، ليكون بذلك صاحب العمل الروائي السوري الوحيد الذي يصل للقائمة الطويلة.

وترصد الرواية، السنوات الأخيرة من حياة مدينة تدمر التي أصبحت في عصر ملكها أذينة عاصمة إمبراطورية المشرق. لتضيء جوانب غامضة من تاريخ تلك المدينة التي تحولت في عهد ملكتها زنوبيا إلى مشروع مدينة فاضلة لم تأذن الظروف لها أن تكتمل.

صدور "حلم يغفو على مطر" لغفران طحان

صدر مؤخرًا عن "دار أرواد"، في مدينة طرطوس، كتاب "حلم يغفو على مطر" (همسات نثرية) لغفران طحان.

يقع الكتاب الذي قدّم له الأديب المغربي عبد العزيز غوردو، في 79 صفحة من القطع المتوسط، ويضم (24) نصًا نثريًا، ومن عناوينه (ذات وطن، مأساتي معك، وبالورد كان يلونها على مسمعي، تراتيل سماوية، ما زلت أحلمك، رشفة أخرى..).

ونقرأ من الكتاب: ""أحبك جدًا/ وأعرف أني مهزومة البوح/ مكسورة جناح الفرح ويكفيني بأني/ سأخرج رغم قتلي/ بقلبك ينبض فيّ/ وأبقى على قيد الحلم/ أفض اشتباكات الغياب/ بتأويل صمت وغيمة طهر".

يُشار إلى أنه صدر للكاتبة مجموعتان قصصيتان : "كحلم أبيض" 2009 – "عالم آخر يخصني" 2014.

وفاة الفنان ممتاز البحرة مبدع شخصيتي "باسم" و"رباب"

غيب الموت صباح الأثنين (16/1/2017)، الفنان التشكيلي ورسام الكاريكاتير ممتاز البحرة الذي لون ذاكرة الأطفال السوريين وألهم مخيلتهم لسنوات طويلة برسومه الشيقة.

يعدّ "البحرة" من أهم رسامي أدب الأطفال في سورية والوطن العربي، وقد رحل عن عمر ناهز ال 79 عامًا، بعد نصف قرن من مسيرة فنية غنية بالعطاء والابداع، وهو الأب الروحي لمجلة "أسامة" التي أسسها علم 1969 مع الكاتب المسرحي سعد الله ونوس والقاص زكريا تامر. ومؤسس مجلة "الطفل العربي" فأمتع الأطفال بشخصيات مثل أسامة وشنتير وماجد وسندباد.

وكان الراحل أول رسام كاريكاتير يعتقل بسبب رسومه في سوريا حيث صدر حكم ميداني عسكري تعسفي بلا محاكمة باعدامه مع عدد من المعتقلين السياسيين الآخرين مثل الصحافي نصرالدين البحرة وعباس الصوص وغيرهم وقد الغي حكم الإعدام قبل تنفيذه بساعات اثر تغلب المجموعة البعثية على الناصريين آنئذ في انقلاب 8 آذار. وفي بداية الثمانينات كان قد اعتزل رسم الكاريكاتير بعد أن تعرض من نظام الأسد لعدة مضايقات وتهديدات طالت عائلته وشخصه.